الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أبو بكر بلقايد
UNIVERSITÉ DE TLEMCEN
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص: نقد أدبي حديث و معاصر

الموضوع:

فن الخطابة عند المعتزلة

– خطبة واصل بن عطاء أنموذجا –

إعداد الطالب :
كمال عقاد

إشراف:
د/ عبد الرحمن فارسي

لجنة المناقشة		
أ.الدكتور	أ.د / عبد الجليل مصطفاوي	رئيسا
أ.الدكتور	د/ قدوسي نور الدين	ممتحنا
أ.الدكتور	د/عبد الرحمان فارسي	مشرفا مقررا

العام الجامعي : 1440-1441/2018-2019

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ
الرَّحِيمِ

﴿الـرَّحْمَـٰنُ ، عَـلَّـمَ
الْـقُـرْآنَ ، خَـلَـقَ
الْإِنـسَـانَ ، عَـلَّـمَـهُ
الْـبَـيَـانَ ، الـشَّمْسُ وَ الْـقَـمَـرُ
بِـحُسْبَـانٍ .﴾

صدق الله العظيم .

الإهداء:

- ✓إلى روح أبي الطاهرة،
- ✓ إلى أمي الغالية
- ✓ إلى زوجتي و أبنائي:

آية، نور الفجر، و مُحَمَّد نور الإسلام.

- ✓إلى إخوتي و أخواتي، و كل العائلة...
- ✓ إليهم جميعا أهدي ثمرة جهدي.

كلمة شكر و تقدير:

أتقدم بشكري الخالص إلى الأستاذ الدكتور المشرف :

«فارسي عبد الرحمان» الذي كان بمثابة المعلم الموجه في مشوار بحثي،

و الذي كان بمثابة الناصح و الموجّه.

كما أتقدم بشكري الخالص إلى أستاتذي المناقشين و هم:الدكتور :

قدوسي نور الدين و عبد الجليل مصطفاوي.

و إلى جميع من أفادنا و ساعدنا في إنجاز هذا البحث المتواضع ، فلهم جميعا نتقدّم بأسمى عبارات التّقدير و الشكر و الاحترام .

المقدمة

تبارك الذي نزّل الفرقان على عبده، ليكون للعالمين نذيرً،ا و الحمد لله الذي هدانا به و أخرجنا من الظّلمات إلى النور، و صلى الله على نبينا مُحَمَّد الذي نزَل القرآن العظيم بلسانه، لسانا عربيا مبينا، لا يأتيه الباطل من بين يديه، و لامن خلفه، فاللّهم صلِّ على مُحَمَّد و على أبويه إبراهيم إسماعيل و سلِّم تسليمًا كثيرا و اللهم أغفر لنا و ارحمنا أنت خير الراحمين.

أما بعد:

لعل من أكثر الفرق الكلامية تأثيراً في الثقافة العربية الإسلامية فرقة المعتزلة فقد طبعت مبادئها مختلف ضروب الفكر و الأدب، و لعل الخطابة من بين ما تأثر بفكر المعتزلة مما حرك في أعماقنا الرغبة في إجلاء ذكر التأثير و ذكل التفاعل .

هذا الموضوع الذي وقع الإختيار عليه و الذي كان يبدو لنا سهلا لأول وهلة و لكن عند البحث و الغوص فيه وجدناه صعبا و شائكا و نظرا للأهمية التاريخية للموضوع ظهرت عدة دراسات في هذا المجال ، و قد أشار إلى هذا الموضوع بعض الباحثين و الكتاب ضمن كتب التاريخ الإسلامي العام أو كتب خاصة بالمعتزلة ،و من المؤلفين الذين أشاروا إليه: الجاحظ في كتاب البيان و التبيين و أحمد أمين في ظهر الإسلام و ضحى الإسلام، و عبد الحكيم بليغ في أدب المعتزلة إلى نهاية الرابع الهجري إلى غيرهم من المؤلفين الذين تناولوا هذه الفرقة و أدبها.

و من جهة أخرى لاحظنا أنه على الرغم من كثرة الكتب التاريخية الإسلامية التي تناولت هذه الفرقة و أدبها سواء من بعيد أو قريب ، لكن الموروث الأدبي الفرقة نجده قليل، و ذلك بسبب حرقهاو إتلافها من طرف أهل السنة و الجماعة فهذه الظروف كلها لفتت نظرنا إلى هذا الموضوع للبحث فيه مأما محاولة تقديمه القارالنقاط الالتي اشالتيإشتمل عليها البحثئ للقارئ المبتدئ .

وعلى هذا الأساس فقد حصرنا هذه الدّراسة للكشف عن سمات الخطابة الإعتزالية،و امتزاجها بثقافتهم الفلسفية الدّينية حتى أنّها طبعت بالوعظ الدّينيو الجدل العقلي و انصهرت في المناظرة الكلامية ،و قد اخترنا لذلك (خطبة واصل بن عطاء) الخالية من الراء لتكون نموذجا للوعي المعتزلي و تفتحهم العقلي و سمو لغتهم و أدبهم و امتزاجه بتفكيرهم الفلسفي الديني، هذا لتكون أنموذجا للقراءة و التحليل للإجابة على هذه التساؤلات المطروحة:

- ماهي أهمية هذا الفن لهذه الفرقة ؟ و ما هي أهم سماتها؟
- ما هي إسهامات المعتزلة في النّثر الأدبي؟

و للإجابة عن هذه الأسئلة ارتأينا أن نقسم بحثنا إلى:

أولا _ الفصل التمهيدي: تناولنا فيه الخطابة بصفة عامة و ذلك بتطرق للتعريفاتها و تاريخها و تطورها عبر العصور حتى نهاية العصر العباسي.

ثانيا _ الفصل الثاني: عرضنا فيه الأسباب التي دعت إلى ظهور الفرق الإسلامية ثم تعريف المعتزلة و ذلك بالتعرض إلى نشأتها و سبب تسميتها ثم تعرض لأهم روادها و مدارسها و أخيرا التحدث عن مبادئها و أصولها .

ثالثا _ الفصل الثالث: في هذا الفصل تناولنا صفات الخطابة الإعتزالية و مواضيعها و ذلك بعد التحدث عن الأدب الإعتزالي بصفة عامة في تمهيد .

و قد ختمنا فصلنا هذا بنموذج للبحث و يتمثل في خطبة واصل بن عطاء و ذلك قصد توضيح و تحليل صفات التفكير الإعتزالي و تبيان مدى قوة و بلاغة هذه الفرقة.

لقد اعتمدنا في هذه الدراسة على المنهج التاريخي المناسب لمثل هذه الدراسات مركزين على آلية الوصف و التحليل، كما ارتكزنا على بعض المصادر و المراجع أهمّها: البيان و التّبيين للجاحظ ،

و الأوائل لأبي هلال العسكري ، و الأغاني لأبي الفرج الاصفهاني ، و المنية و الأمل لابن المرتضى، و وفايات الأعيان لابن خلكان ، و جمهرة خطب العرب لأحمد زكي صفوف، و الفنون الأدبية عند العرب لإيليا حاوي ، و الفن و مذاهبه لشوقي ضيف ، و الملل و النّحل للشّهرستاني، و الكامل للمبرد إلى غير ذلك من الكتب ....

أمّا عن الصّعوبت التي واجهتنا فقد تمثلت في ضيق الوقت و قلة المصادر إن لم نقل نذرتها التي تتحدّث عن فن الخطابة لدى هذه الفرقة .

و في الأخير نرى أن الهدف الذي دفعنا لنضع هذا الموضوع نصب أعيننا هو هدف الإطلاع على خبايا أدب هذه الفرقة نظرا لما ظهرت به من قوة كيف سنككتب فصاحة و بلاغة و بذلك نسأل الله المعين السداد و التوفيق.

كمـــــــــــــــــــــــــــــــــــال عقاد

تلمسان في 29 رمضان 1440 الموافق ل 03 جوان 2019

مدخل

الخطابة لغة و اصطلاحا

- أولا :تعريف الخطبة لغة و اصطلاحا
- ثانيا : الخطاب عند العرب
- ثالثا :أنواع الخطابة في العصر الأموي

أولا :تعريف الخطبة لغة و اصطلاحا

أ– الخطبة لغة:

لقد ارتبط مفهوم الخطبة في معاجم اللّغة بمعان لغوية منها:

«إنها مراجهة الكلام، وقد خاطبه بالكلام مخاطبة»[1]، و هي« الكلام الذي يتكلم به الخطيب، و رجل خطيب، حسن الخطبة وجمعه خطباء.»[2]

وقد جاء في لسان العرب أن الخطبة مصدر الخطيب، لا يجوز إلّا على وجه واحد وهو أن الخطبة اسم للكلام الذي يتكلم به الخطيب، فيوضع موضع المصدر، وخطبت على المنبر خطبة

بالضم وخطبت المرأة خِطبةً بالكسر، وخطب على القوم خطبة[3] فجعلها مصدرا.

والخطابة مصدر الخطيب ، وخطب الخاطب على المنبرِ ،واختطب ،يخطب ،خطابة. واسم الكلام الخُطبة ،ونقول خطبَ خاطبها حسنُ الخطاب وهو المواجهة بالكَلام ،وخطب الخطيبُ خطبة حسنة واختطب القوم فلانًا :دعوة إلى أن يخطب إليهم ،يقال اختطبوه فما خطبَ إليهم.[4]

فالخطابة مصدر خطب: ألقى خطبة ، والخطابة أو الخطبة هي الكلام المنثور الذي يقصد به التأثير و الإقناع ، فهي لا تخرج عن إطار الخطاب اللغوي الإقناعي الذي يخضع لقواعد اللّغة.[5]

---

[1] جمال الدين أبو الفضل ، لسان العرب ، دار صادر للطباعة و النشر، بيروت، 1968مادة خطب

[2] مُحَّد مرضى الحسين الرشيدي ، تاج العروس من جواهر القاموس ، مادة خطب

[3] ينظر جمال الدين أبو الفضل، ص 361

[4] ينظر الزمخشري ، لسان العرب أساس البلاغة، مادة خطب

[5] مُحَّد مصطفى منصور ، صور من النّثر الفني في عصر صدر الإسلام و بني أمية ، دار غريب للطباعة و النشر ، 2001، ص 41

ب- **اصطلاحا:**

«الخطبة عن العرب هي الكلام المنثور المسجع»[1] ونحوه ،وهو فن التعبير عن الأشياء بحيث أن السامعين يصغوْن إلى ما يقوله المتكلم في موقف رسمي مختلف عن المجالس المألوفة اليومية.[2]

ولا شك أن للخطابة مرتقى صعب المنال لا يصل إليها طالبها بيسر ، بل يحتاج إلى زاد عظيم وصبر قويم ، فعلى الخطيب أن يكون على إطلاع بكثير من الأمور، التي تتصل بالجماعات كظروف حياتهم مثلا ،كما يجب عليه أن يحظى بقدر كبير من الألفاظ و الأساليب ، تعطي الخطبة رونقا و جمالا من جهة أخرى ، هذا ما يستدعي أن يكون الملقي منظبط النفس آخدا بكل الاحتمالات للنتائج سواءا سلبا أو إيجابا.

ومن أغراض الخطابة: إثارة الحماس بأي وسيلة وبأي تعبير - فلمّا أراد الأنصار مبايعة الرسول ﷺ ، أظهروا تخوفهم من أن يتخلى عنهم الرسول ﷺ ، فابتسم عليه الصلاة والسلام ،ثم قال: «الدم ،الدم، الهدم ، الهدم ، وفسّر ذلك أبو عبيدة الحديث فقال:« الهدم، الهدم، الدّم، الدّم» أي أن الرسول ﷺ قال: أي حرمتي حرمتكم، الهدم، الهدم: أي بيتي مع بيتكم.»[3]

و إيقادُ الفكر وتعديل الضمائر والتنبيه إلى حقائق ومعلومات ثابتة وطارئة، يشترك فيها السامع مع الخطيب ، و بتلك الحقائق تدار الخطبة حسب الهدف، الذي يرمي إليه المتكلم ، ليوجه السامع و ينير أمامه ماعساه يختلط من سيل ، وذلك بالتركيز على ضرب من ضروب الحياة من دينية، إجتماعية، وسياسية، وحربية، واقتصادية إلى غير ذلك من الإتجاهات التي تكون محتوى للخطبة.

---

[1] الفيروز أبادي ، القاموس المحيط، دار الجيل ، د ت، ص 65 مادة خطب

[2] جبور عبد النور، المعجم الادبي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط1 ، 1979، مادة خطب

[3] عثمان بوغانمي ، الخطبة كنز فنّي ، طبع في الشركة التونسية لفنون الرسم ، 1978 ، دط ،ص 98

فمن أهم عناصر الخطبة ، الكلمة التي يجب بالدرجة الأولى أن تكون فصيحة و واضحة و مفهومة لدى المستمعين ومترجِمة في الوقت نفسه عن تعاريف وحقائق للأشياء ، من شأنها الغموض والتداخل و من شأنها الالتباس والاختفاء.

إلى جانب ذلك هناك جزئيات لازمة للخطبة لايستغنى عنها الخطيب أبدا، ومنها التكرار الجزئي، سواء كان ذلك بأدوات الربط و إعادتها في الجملة مجزأة أو مجتمعةً ،كالنّداء والاستفهام و الإشارة والموصول ، وغالبا ما يقرن بينهما ، و كذلك إعادة الكلمات كأوائل الجملة أو أواخرها بتهاودٍ صوتي يتحكم في أصوله المتكلم، ضف إلى ذلك الهدنة الصوتية القصيرة بين مقاطع الكلام وفواصله المحددة بنوعية حوار الموضوع نفسه. فالسكوت يغذي المتكلم ويشوّق السّامع، وتكون متراوحة النبّرات تحت تأثير معانيها ، و كأنها أحيانا هدير بحرٍ ،وأحيانا مداعبة أمواجٍ صافيةٍ هادئةٍ على أطراف شاطئ أمين.

يقول الإمام أبو زهرة:« اعتقد الأقدمون أن للخطابة علما له أصول وقوانين، من أخد بها وسار في طريقها عدّ خطيبًا»[1]. وقوله كذلك: « هو علم يعنى بدراسة طرق التأثير و وسائل الإقناع.»[2]

و أوّل من عرف الخطابة هم اليونان ؛ ففي مستهل القرن السادس قبل الميلاد ظهرت النَّزاعات العلمية والرياضية والعقلية والبيتاغورية، فضلا عن نزعات لاهوتية إلى جانب هذا ظهرت حركة السفسطائيين[3] فمعها سَمَت فضيلة القول والتعبير البليغ؛ فتقدم الخطيب على العالم والفيلسوف ترفّعت بذلك الخطابة عن تلك القيود الشعرية.

ويعد أرسطو أول من جعل الخطابة علمًا قائما بذاته ، واضعا بذلك حدودا ظاهرة بين هذا العلم وبين الأخلاق وقد جسّده في كتلب الخطابة.

---

[1] الامام مُحَّد أبو زهرة ، الخطابة وأصولها في أزهى عصورها عند العرب، دار الفكر العربي ، القاهرة ، د ت ، ص 7

[2] المرجع نفسه، ص 8

[3] السفسطائية : اتجاه فلسفي اعتمد منهج التغليط ، أول ما ظهر مع اليونان .

فكانت هذه النّشأة بمثابة منبع متدفق ومندفع كالسّيل الرّحيم، وهو من غير شك ولا اختلاف واجهة عصارةِ التّخطي الحركي المباشر بمراقبة وعون مجموعة عوامل حسية منها العزم المستمر الذّكي وحدق الاختيار الطبيعي ، فكانت بذلك البدايات الأولى لظهور الخطابة كعلم قائم بذات

ثانيا:الخطابة عن العرب:

أ–في العصر الجاهلي:

كان العرب في شبه الجزيرة العربية يعيشون في إطار قبائل متفرقة، لكل قبيلة من قبائلهم رئيسها وسيادتها الخاصة بها. فلم تكن لهم حكومة تجمعهم، وكانوا يعيشون في صحراء قاحلة وبيداء واسعة، وبيئة صعبة قاسية؛ وكثيرا ما كانت تنشب الحروب بينهم، والغارات، وتحدث العداوات والمنازعات ،وكان يعقبها صلح ووئام، كما كانوا يتفاخرون بالأحساب و الأنساب و المآثر وتحاول كل قبيلة أن ترفع بين القبائل ذكرها و تعلى من قدر نفسها أمام غيرها، كما كان العرب يقومون بإيفاد الوفود عنهم لتهنئة أو لتعزية ،كما كانوا يتشاورون فيما بينهم لعقد أمر أو فضة،وكان العرب أولي غبره وذوي مروءة ونجدة.

كما كانت تتفشى فيهم بعض العادات القبيحة مثل هذه العادات ويستهجنها ويحاربها ويدعوا إلى التنزه عنها والتخلص منها.

وهكذا كانت حال العرب وطبيعة بيئته،وظروفهم مشجعة على الخطابة ومثيرة لها ،بالإضافة إلى ماكانوا يتمتعون به إلى حد بعيد من حرية التعبير عن أرائهم وما كانوا يتحلون من شجاعة وإقدام وكذا ما كانوا يتصفون به من البلاغة و الفصاحة والتمكن من ناصية اللغة ،حيث كانت اللغة طبعة لهم مثرية لكلامهم ومزينة لأدبهم كل هذا ونحوه أسهم في إنعاش الخطابة عند العرب في الجاهلية وجعل لها مكانا في حياتهم ومكانة ،ودعت إليها وتعددت أغراضها وكثرت مناسباتها وتباروا فيها ،وتفننوا في إلقائها ،وتسابقوا في تحسينها وتجويدها واشتهر منهم خطباء كثيرون.

وأشهر خطبائهم قسّ بن ساعدة الإيّادي[1] ، وعمر وبن كلثوم التغلبي، و أكتم بن صيفي التميمي و الحارث بن عباد البكري ، وقيس بن زهير العبسي ،وعمر بن معد يكرب الزبيدي. [2]

ولقد كان لكل قبيلة شاعر وخطيب، وكانت منزلة الشعراء في الجاهلية مقدمة على الخطباء تم تأخروا عن الخطباء فيما بعد ،وقد ذكر الحافظ عن أبي عمر وبن العلاء:"كان الشاعر في الجاهلية يقدم عن الخطيب لفرط حاجاتهم إلى الشعر الذي يقيد عليهم مآثرهم، ويفخم شأنهم ،ويول على عدوهم ومن غزاهم ويهبب من فرسانهم؛ ويخوف من كثرة عددهم ويهابهم شاعر غيرهم فيرقب شاعرهم ،فلما كثر الشعر و الشعراء واتخذوا الشعر مكسبه ورحلوا إلى السوقة وتسرعوا إلى أعراض الناس صار الخطيب عندهم فوق الشاعر.[3]

و كانت خطبهم على ضربين: منها الطوال ومنها القصار وقد وجد أن القصار أكثر لأن رواده العلم إلى حفظها أسرع.[4]

و كان خطباء العرب يلجأون إلى الإشارة بأيديهم وأعناقهم وحواجبهم وأحيانا بالعصي[5] وكانوا يجلسون في خطب النكاح ويقومون في خطب الصلح وكل ما دخل في باب الحمالة وأكد شأن المخالفة وحقق حرمة المجاورة ،وكانوا يخطبون على رواحلهم في المواسم العظام والمجامع الكبار.[6]

---

[1] ضبطه بضم القاف علي بن هبة الله ابن أبي نصر ابن مالولا ، في كتابه الأكماب باب قسّ و قُسّ و قُشّ دار الكتب العلمية ، بيروت ط1 ، 1411 هـ

[2] أحمد حسن الزيات ، تاريخ الادب العربي ، دار النهضة ، القاهرة ، مصر ، دط، ص 20

[3] الجاحظ البيان و التبيين، ج1 ، تح عبد السلام هارون ، دار لجيل ، بيروت دط ، د ت ص 45

[4] البيان و التبين ج2 ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، مطبعة المدني ، ط7 ، 1998 ، ص7

[5] ينظر المرجع نفسه ص116

[6] ينظر المرجع نفسه ص 6-7

وقد قيل أن أول من خطب على العصا والراحلة قس بن ساعدة الأيادي ،وانه أول من ظهر التوحيد بمكة وماحولها مع ورقة بن نوفل وزيد بن عمرو بن نفيل وأنه أول من قال "أما بعد، وقال بعضهم إن أول من قال أما بعد هو داوود عليه السلام»[1].وكانوا يحبون من الخطيب أن يكون حسن الشارة جهير الصوت سليم المنطق ،ثبت الجنان.[2]

و هكذا كانت الخطابة في ذلك العصر على درجة كبيرة من التقدم والرقي، لما ذكرنا من دواع أدت كذلك إلى تنوع أغراها وتباين موضوعاتها ، فكانت خطب التحريض و الإثارة على القتال وخطب الصلح وفض المنازعات وخطب الزواج وخطب التهنئة والرثاء، وخطب المنازعات والمفاخرات وخطب المشورة ،وخطب الإصلاحية التي كانت تتسم بطابع الوعظ إلى غير ذلك من الأغراض.

وهناك تشابها في موضوعات الخطابة عند العرب في جاهليتهم، ومن خصائصها شدة الأسر وفخامة اللفظ و إحكام الصنعة، والمحافظة على أصالة اللغة والتراوح بين الطول والقصر على حسب المقامات التي تساق فيها الخطبة.

ب–في عصر صدر الإسلام:

لقد كان ظهور الإسلام والدعوة لمبادئه أمرا خطيرا في حياة العرب لم يقف أثره عند ترك عبادة الأوثان، وإخلاص العبادة لله وحده، بل غير عاداتهم ونظام حياتهم بما فرض عليهم من سلوك معين ، و بها حرم عليهم من عادات ألغوها ومرنوا عليها سنين طويلة ،فهو قد محي الفوارق بين الناس، وسوى بينهم جميعا في الحقوق العامة ،كما حرم عليهم الخمر والزنا، ولم يكن ذلك أمرا هينا بينهم وقد حرم الإسلام الهجاء ونهش الأعراض ولم يقبل المدح المسبوق المبالغ فيه ،وقد كانت هذه كلها أغراضا للشعر الجاهلي، لذلك هدأ صوت الشعر وقل نشاطه بظهور الإسلام، وقامت الخطابة بعبء تبليغ الرسالة وشرح مبادئ الإسلام ،وكان ذلك سببا قويا في نهضة الخطابة وظهور عدد كبير من الخطباء

---

[1] أبو هلال العسكري ، الأوائل تحقيق محمد السيد الوكيل ، دار النشر البشير للثقافة والعلوم الإسلامي ، مصر 1987، ط2 ص 68

[2] ينظر الجاحظ ، البيان و التبين ، ج1 ، 120-121

ذوي اللسن، الذين أثروا اللغة العربية بخطبهم وما أثر عنهم من كلام بليغ ومحاورات مقنعة وحكم قاطعة وأمثال سائرة.

جعل الإسلام الخطبة فرضا في صلاة الجمعة، وهذا يعني أن المسلم يسمع خطبة مرة في كل أسبوع على الأقل.[1] و الخطبة سلاح الداعية في كل مناسبة يدعوا للإسلام فيها، وهي مشروعة في العيدين ويوم الحج الأكبر، وفي الدعوة إلى العرب أو السلم، تم هي في حفلات الزواج، و لأعراس وتوليه الحكومات وولايات العهد وكان مبلغو دعوة الإسلام والمعلمون الموفودون إلى أطراف الجزيرة أو الجهات البعيدة، فكانوا يعتمدون عليها في شرح فكرة الإسلام وتجيب الناس فيه، واستعملها مُحَمَّد رسول الله وهو بمكة لإعلان قومه برسالته. وواجه بها القبائل في مواسم الحج.وهكذا كانت الخطابة أول سلاح استعمله الإسلام لإعلان مبادئه والدعوة إليها.

و كان الذين يدخلون الإسلام يدخلونه عن اقتناع ورغبة ومحبة وعاطفة، فحبهم الإسلام وتقديرهم نعمة الله عليهم به. يحملهم تلقائيا على الدعوة إليه ،ويستعينون على ذلك بالخطابة فكان المحيط الإسلامي كله مدرسة خطابية، ثويت فيها الخطابة وكثر الخطباء ومنذ ذلك الحين أهل على الخطابة زمان جديد كان إيذانا بارتقائها وعلو شأنها.

ولقد ارتقت الخطابة في ظل الدعوة الإسلامية وبلغت الغاية في الكمال مظهرا وجوهرا أو أداء مضمونا ،وكان من اكبر عوامل سموها: استمدادها من القران الكريم، وسنة الرسول ﷺ وبالتالي تأثر الخطباء ببلاغة وفصاحة القران والحديث النبوي الشريف.

و قد تكر ابن خلدون ان كلام العرب الذين أدركوا الإسلام قد فاق كلام الجاهليين في الشعر وفي النثر بأنواعه من خطابة وكتابة ومحاورة ونحوها ،وان ذلك كله قد أتى اعلي طبقة في البلاغة وأذواقها من منظوم الجاهليين ومنثورهم ،ثم قال:«...والطبع السليم والذوق الصحيح شاهدان بذلك

[1] عبد الجليل عبده شلبي ، الخطابة و اعداد الخطيب ، دار لشروق ، ط1 ، 1981 نص 174

للناقد البصير بالبلاغة، والسبب في ذلك أن هؤلاء الذين عجز البشر عن الإتيان بمثليهم لكونها ولجت في قلوبهم ونشأت على أساليبها نفوسهم، فنهضت طباعهم وارتقت ملكاتهم في البلاغة على ملكات من قبلهم من أهل الجاهلية..»[1]

وكثير من أغراض الخطابة التي كانت قبل الإسلام ،بقيت أيضا بعد الإسلام مثل الزواج والصلح والحث عن القتال ،والأغراض السياسية والقضاء وغيرها. وبقيت أيضا كثير من عادات الخطباء العرب قبل الإسلام ،واستمرت إلى مابعده مثل: اعتماد الخطيب على العصا وإلقاء الخطبة من مكان مرتفع أو فوق الراحلة؛ وقد خطب النبي ﷺ في الناس حجة الوداع.

ثم إن الخطبة في الإسلام اكتسب مزايا وحللا طيبة لم تكن فيها من قبل ،حيث صارت تفتتح بالحمد لله والصلاة على الرسول الكريم ،والالتزام في مضمونها بأدب الإسلام وشريعته، مما يعني إهمال بعض الأعراض التي كانت موجودة من قبل والترفع بالخطابة عنها.

وقد ذكر الجاحظ أن خطباء السّلف الطيب و أهل البيان من التابعين لهم بإحسان، مازالوا يسمّون الخطبة التي لم تبدأ بالتجميد وتستفتح بالتمجيد البتراء ويُسمّون التي لم توشح بالقران وتزين بالصلاة على النبي المصطفى بالشوهاء.

و خطب أعرابي فلما أعجله بعض الأمر عن التّصدير بالتّحميد والاستفتاح بالتّمجيد قال: أمّا بعد بغير ملالة لذكر الله ولا إيثارِ غيره عليه فإنّا نقول كذا ، ونسأل كذا ، فرارًا من أن تكون خطبته بتراء أو شوهاء.[2]

وكانت خطب ذلك العصر مثل خطب ما سبقه منها الطّوال و منها القصار كما يتبين هذا من استقرائها، وإن كان الغالب هو النّوع القصير وما فوقه.

---

[1] ابن خلدون ،المقدمة، ج3، تح علي عبد الواحد ، طبعة مزيدة و منقّحة ، عد دار النهضة للنشر ، مصر ، ط7، مارس 2014، ص 1315-1316

[2] الجاحظ ، البيان و التبيين ،ج2، تح عبد السلام هارون، ص 6

ولقد اشتهر في ذلك العصر كوكبة من الخطباء الأفذاذ على رأسهم مُحَمَّد رسول اللهﷺ الذي آتاه الله جوامع الكلام ، وكان له ﷺ خطيب هو «ثابت بن قيس بن شماس»[1]. وكان جهير الصوت خطيبا بليغا.[2]

إن الإسلام نهضة عامّة شاملة لم يعهد لها من قبل ، و كانت الخطابة عماد هذه النهضة وأداة فعالة من أدواتها ،و كانت هذه النهضة دينية في روحها وأساسها والدّين فيض من النّور الإلهي والرحمة الربانية يمتد من السّماء إلى الأرض ، يضئ ظلماتها، ويبدّد غياهب الجهالة فيها ، ويؤدي رسالته الأولى في إصلاح المجتمع البشري ، و تحقيق أسباب السّعادة له في حياته، و ليس الإسلام دين جمود.

و قد جالت الخطابة في هذا العصر جميع الميادين الدنيا و الأُخروية ، و إن كانت وجهتها الرئيسية وجهة دينية ،وكان غرضها الأساس إقامة عمود الدّين ،و رفع منار الإسلام ، فكانت هناك خطب دينية شملت العقائد والدّعوة إلى الإسلام و التشريع بما فيه من تبين الحدود وإقامة معالم الحلال والحرام، والوعظ والإرشاد بما فيه من أمر بالمعروف ونهي عن المنكر وحثٍّ على مكارم الأخلاق.

ج– في العصر الأموي:

قامت الدولة الأموية بعد انتهاء الخلافة الرّاشدة بمقتل سيدنا «علي بن أبي طالب »، ويعد بدئُ الدولة الأموية من تنازل الحسن بن علي رضي الله عنهما لمعاوية بن أبي سفيان في « مسكن » يوم 25 ربيع الأول عام41هـ ، واستمرت حتى معركة "الزّاب" التي جرت بين جيوش العباسيين و بني

---

[1] الامام بن لجوزي صفة الصفو ، تحقق الشيخ خالد طرطوسي ، دار الكتاب العربي ،دط، 2012 ، ص318

[2] الذهبي ، سير أعلام النبلاء ،ج1 رتّبه وزاده و اعتنى به حسان عبد المنان ، بين الأفكار الدولية ، لبنان ، 2004 ، ص309

أمية ،حيث هزم مروان بن مُحَمَّد آخر الخلفاء الأمويين وذلك في الأولى 11 جمادى الأولى عام 132هـ.[1]

و يكاد يجمع المؤرخون للأدب العربي على أن الخطابة شهدت في العصر الأموي أزهى عصورها ، و أنها راجت رواجا كبيرا ، لاسيما في أول قيام الدولة ، ثم في مراحلها المختلفة ، و قد ساعد على هذا توفر دواعي الخطابة في ذلك العصر؛ والتي كان أبرزها وجود الخلافات المذهبية و الأحزاب السياسية منذ فجر الدولة ، بل منذ خلافة سيدنا علي كرم الله وجهه، فقد ظهرت الشيعة والخوارج ،وكان ثمّ حزب للإمام علي و آخر لمعاوية ، ثم بعد ذلك تتابعت الفتن و الأحداث ، فكان استشهاد الإمام الحسين « ولما وصل خبر مقتل الحسين بن علي إلى الحجاز ، أعلن عبد الله بن الزبير خلع يزيد ،وبدأ يأخذ البيعة لنفسه من الناس»[2] ، وكان من أمر بن الزبير مع الأمويين من الحروب ماكان ،كما قامت جماعة من الشّيعة بالعراق واتفقوا على أن يأخذوا بثأر الحسين بن علي ويقتلوا من قتله؛ [3] كما توالت الأحداث بعد ذلك.

وفي مثل هذه الأجواء تروج الخطابة ، و يعمد كل حزب أو فريق إلى التركيز عليها كسلاح إعلامي في استمالة الآخرين لصفة و الانتقاص من خصوصمه.

وقد عملت في ازدهار الخطابة أسباب مختلفة ،منها السّياسية ومنها الدّينية ومنها العقلية.

أما من حيث السياسة فقد كثرت –كما قلنا سالفا – الأحزاب السياسية وخاصة المعارضة لبني أمية ، وكثر مشعلوا الفتن والحروب الداخلية، ومعروف أن الدولة الأموية قامت على أنقاض فتنة عثمان ،وما انتهت إليه من حروب صفّين بين علي ومعاوية. وبمجرد أن قبل علي التّحكيم خرج عليه فريق من جيشه سُمّي الخوارج ، وشهروا سيوفهم في وجهه ، و عبثًا حاول العودة بهم إلى صفوفهم ،

---

[1] محمود شاكر ، التاريخ الإسلامي ،ج4، المكتب الإسلامي ، بيروت ط6، 1991، ص 61-62.

[2] محمود شاكر ، التاريخ الإسلامي ،ج4، المكتب الإسلامي ، بيروت ط6،

[3] محمود شاكر، التاريخ الأسلامي ج4، ص 170-171

فحاربهم وتصدّى له أحدهم فقتله ، وخلُص الأمر لمعاوية وخلفائه من بني أمية ، فظلّ هؤلاء الخوارج ينازلونهم ويَعُدّون دار المسلمين دار حرب ، فيجب أن يجاهدوهم ؛ إذ جعلوا الخلافة في قريش وهي ليست حقا من حقوقها، وإنما هي حقٌّ لله ، وينبغي أن يليها من سحقها بمشورة المسلمين ، و أن يكون خيرهم تقوى وزهدًا و ورعًا و لو لم يكن قريشا، بل لو كان عبدا حبشيًا .

وقد تعددت فرقهم وأهمها الأزارقة[1]، في فارس والنجدات، [2] في اليمامة وحضرموت والبحرين ، والصفرية [3] في الموصل وشمالي العراق ،والإباضية[4] في اليمن وحضرموت.

وبجانب حزبي الشيعة والخوارج ،توالت الثورات على بني أمية ، فثار عبد الله بن الزبير في الحجاز و ثار فيما بعد في العراق وإيران عبد الرحمان بن الأشعت.

و قد ساعدت على تطور الخطابة في العصر عوامل أخرى: منها الجدل المحتدم بين الفرق الدّينية ومنها كثرة الوفود على الخلفاء والولاة بعض الوعاظ بالخطابة في المساجد ووعظ الناس ، منذ أن نصبهم معاوية لهذا الغرض ؛ و منها إقبال العلماء على القران الكريم يحفظون ويدرسون و نماء الثّفافة اللّغوية والأدبية في تلك الحقبة والعناية بحفظ ما خلّفه السابقون.[5]

وممّا ساعد على ازدهارها كذلك أنه كانت تعقد مجالس للمباراة في الخطابة والسبق فيها وكثيرا ما كان يدعى الشخص إلى القول مفاجأة ليُختبر مقدار بيانه وقوة جنائه.

---

[1] الأزارقة فرقة من فرق الخوارج سميت باسم زعيمها نافع ابن الأزرق.

[2] النّجدات فرقة من فرق و هم اتباع نجدة بن عامر الحنفي ، من بدعه أنّ من يكذب قاصدا فهو مشرك.

[3] الصفرية فرقة من الخوارج و سميت نسبة إلى عبد الله بن صفار التميمي.

[4] الإباضية ، فرقة إسلامية سميت نسبة إلى عبد الله بن إباض التميمي .

[5] ينظر أحمد الحوفي ، فن الخطابة ، مكتبة نهضة مصر ، القاهرة ،1949 ، ط2، ص 213

وحضور بديهته ونهوض حجّته، و من ذلك ما عقده عبد الله بن عمر بن عبد العزيز والي العراق من مجلس الخطابة.[1]

وكان للخطابة في ذلك العصر خصائصها الفنية والكثيرة نوجزها فيمايلي :

- **الإعداد:** حيث تتم خطب كثير عن العناية بإعدادها و التّأني في صوغها والتّدبر في أجزائها وتنسيق أفكارها والتأنق في أسلوبها.

- **افتتاح الخطب:** كانت صورة من افتتاحها في صدر الإسلام في الأعم الكثير ، فأكثرها مبدوءٌ بالحمد الله والثّناء عليه والصّلاة السّلام على رسوله ، و بعضها مبدوءة بالتهديد و الوعيد للتّنبيئ عن غضب الخطيب ،و ترهيب السّامعين بتشييد عقابه، كبعض خطب الحجاّج؛ وبعضها مبدوء بالشّتم والتّوبيخ، لأن المقام مقام تقريعٍ وتأنيبٍ .

- تمتاز الخطابة في هذا العصر بمشابهتها الشّعر في إبراز المعاني والفكار وتوضيحها وتجسيمها في قوالب من التّخيل، و التّضاد ، كالتشبيه و الاستعارة و الكناية ،و عرض الصّور المتضادة والطّباق ونحوها.

- أما التعبير الخطابي فيتسم بقوة العبارة وجزالتها وقصر الجمل والعناية بالموقع والرّنين.

- و كما كانت الخطب في صدر الإسلام ، فإن خطب هدا العصر يغلب عليها كلّها الإيجاز المعتدل ويقل فيها التّوسط القريب من الطول.

- و قد تأثر كثير من الخطباء في خطبهم بالقرآن الكريم ، فكثر اقتباس الآيات و وضعها المواضع الملائمة لها من الخطبة ،كما كان بعض الخطباء يعمدون إلى استمداد بعض مضامين خطبهم من القران الكريم[1].

---

[1] الشيخ ابن زهرة ، الخطابة ، أصولها تاريخها في أزهى عصورها عند العرب، دار الفكر العربي، 1980 ، ط2، ص 299

وهكذا بدت لنا ملامح الخطابة في العصر الأموي ،و قد ظلت رائجة، مزدهرة لماَ ذكرنا من أسباب ودواعٍ، و خاصةً ما كان من أمر الخصومات ، و الثورات التي اعتمدت على الخطابة و جعلها وسيلة دعاية وحرب ضد الخصوم.

ولـمّـا هدأت كل هذه الخصومات ، و استقر الأمر لبني مروان ؛ انبعث للشعر نشاط قلّلَ من نشاط الخطابة وأهميتها، و لكنها لم تنقطع، و قد كان الخوارج حتى آخر الدّولة مسعرًا للخطابة كثيرا.[2]

ولقد اشتهر في هذا العصر خطباء كثيرون منهم:معاوية بن ابي سفيان ،وعمروبن العاص رضوان الله عليهما ، و واصل بن عطاء والحجاج، ومنهم أبو واثلة إيّاس بن معاوية المزني[3] ، وقد أفاض الجاحظ في بلاغة الأخير وفصاحته وجودة فراسته[4] ، ومنهم عمرو بن سعيد المعروف بالأشدق[5] ومنهم سُحبان بن وائل[6] وعمرو بن عبد العزيز.

ثالثا :أنواع الخطابة في العصر الأموي

الخطب ضروب وأنواع: فمنها الخطب السّياسية و منها الخطب الحديثة العربية ، و منها الخطب الاجتماعية و منها الخطب العلمية. و هناك خطب الملوك والوزراء وهناك خطب القادة العسكريين في جنودهم ، وهناك خطب الزواج والتأبين والصلح والتهنئة.

1-الخطابة السياسية والحربية:

لقد تكاملت في هذا العصر عوامل ازدهار الخطابة السياسية والحربية ، فتشعبت معانيها لتعبر عن آراء الفرق والأحزاب في أحقّية الخلافة والحض على الجهاد أو لتناقش أمور و شؤون الأمّة

---

(1) الشيخ ابن زهرة ، الخطابة ، أصولها تاريخها في أزهى عصورها عند العرب، دار الفكر العربي، 1980 ، ط2،ص 214 و ما بعدها

(2) عبد الجليل عيد شلبي ، الخطابة و اعداد الخطيب،دار الشروق ، القاهرة ، 1981، ط1 ،ص 211

(3) ولد أياس بن معاوية المزني سنة 46 هـ في منطقة اليمامة ، توفي عن عمر ناهز بضعا و سبيعين ؛ و هو من أخذ عن السلف الصالح

(4) ينظر الجاحظ ، البيان و التبيين ، ، ج1 ، ص 98،101

(5) ولد بمكة المكرمة ، مات مقتولا سنة 689هم – 70هـ

(6) ينظر المرجع السابق، ص 314، 316

الداخلية والخارجية، كذلك كثرت المناظرات السياسية بين الحكام والخلفاء الأمويين و زعماء تلك الأحزاب والفرق ،كما كان عليهم لازما ألّا ينسوا واجبهم في نشر الإسلام واستثارة الهمم و الحض على الجهاد في سبيل الله ، ومثال على ذلك ما ورد في خطبة معاوية بن أبي سفيان التي تعد من الخطب السياسية البحثة.[1]

2-الخطابة الدينية:

لقد اعتنى الإسلام بالخطابة و أعلى من قدرها فجعلها ركنا في صلاة الجمعة لا تصح إلّا به ، و رفع من قدرها و ثوابها لأنها توحد بين المسلمين وتجمع أخوّتهم، و كذلك في صلاة العيدين و الكسوف والخسوف والاستسقاء. والخطابة معلم مهم في مناسك الحج عندما يجمع المسلمون الظهر و العصر قصرًا في عرفات اقتداءً برسول الله ﷺ الذي ألقى خطبة الوداع لتكون منهجا وسلوكا ينير طريق المسلمين.

و التزم الخلفاء والأمراء بالخطابة بعد بيعته، والخطابة الدينية نتاج أدبي رائع له وزنه وقيمته الخالدة لاشتماله على شريف المعاني والأفكار، و لذلك جعل الإسلام للخطابة أهمية في انتشال البشرية من ضعفها أمام الماديات و تذكير بالباقيات الصالحات و المثل العليا. و في ذلك قيل «الأدب و الفن المنبثق من التصور الإسلامي أدب وفن موجه بحكم أن الإسلام حركة تطوير مستمرة للحياة».[2]

لقد اسهمت عدة عوامل في ازدهار الخطابة الدينية عند الأمويين من أبرزها ظهور الفرق الدينية المتعددة ، و بالتالي ظهور الخطباء لهده الفرق. ولأمّا الموضوعات والمحاور التي كانت تدور حولها الخطب الدينية في العصر الأموي فهي: الوعظ الديني والقصص الدينية والمناظرات الدينية.

---

[1] ينظر ابن عبد ربّه بن محمّد الأندلسي ، العقد الفريد ج4 ، تحقيق أحمد أمين ، مطبعة لجنة التأليف و الترجمة و النّشر ، القاهرة ، 1962، ط2 ،ص 171

[2] سيد قطب ، النّقد الأدبي، فنونه و مناهجه ، ط6 ، دار الشروق ، القاهرة ، مصر ، دت ، ص 100

3-الخطابة الاجتماعية:

فاسمها يدل عليها: فقد كانت تلقى الخطابة الاجتماعية في الأماكن العامة ، و في المواسم و المحافل و في مجالس الخلفاء و الملوك و الأمراء ،وإذا كانت هذه الخطب تعبّر عن الظواهر الاجتماعية و ما يتعلق بأحوال المجتمع ،فإنّها لا تقتصر على موضوع واحد ، فقد تعدّدت مضامينها تبعًا للظّروف والمناسبات الدّاعية إليها ؛ فنجد خطب المحافل و الوفود و خطب النّكاح و خطب التّأبين ، فهذه الأخيرة تلقى عادة في المقابر أو في مجالس العزاء لمواساة ذوي الفقيد ، وكذلك الحثّ على الصبر.[1]

كانت هذه قراءة مختصرة لفن الخطابة خلال العصور التلات ،والشيء الملاحظ أنها لم تفقد في عمومها جوهرها ، و هو بنائها المحكم من مقدمة وعرض وخاتمة و إن اختلفت موضوعاتها فسبيلها واحد؛ تلكم هي الخطبة التي داع صيتها فيما بعد وانتشرت واستمرت عبر العصور والأجيال.

[1] فيّاض نقولا يوسف، الخطابة ، مؤسسة هنداوي للتعليم و الثقافة ، دط، 2015،ص 110

الفصل الأول

المعـــــــــــتزلة

- أولا :الأسباب التي دعت الى ظهور الفرق الدينية
- ثانيا : المعتزلة
- ثالثا :أثر المعتزلة في الفكر الإسلامي وجهادها في نشر العقيدة الإسلامي.

أولا :الأسباب التي دعت الى ظهور الفرق الدينية:

إنّ الفترة التي عاشها مُحَمَّد ﷺ على رأس الدّولة الإسلامية و التي أقمها على أساس متينٍ من الحق و العدل و المساواة كانت فترة استقرار و ثبات و كانت جهود المسلمين جميعا تلتقي عند غاية واحدة و رئيسية :هي إرساء قواعد هذه الدولة النّاشئة وتطبيق مناهج و تعاليم هذا الدين في شتى مناحي الحياة.

و لم يكن هناك شيء يفرّق كلمتهم أو يصدع وحدتهم فمحمد ﷺ مثَلهم الأعلى يلتفّون حول رايته، والقرآن هو كتابهم المقدّس الذين يخضعون نفوسهم وحياتهم لنظمه وتعاليمه ، وإذا شب بينهم خلاف ما في أمر من أمور الدين و الدنيا سارعوا في رده إلى الرسول ﷺ و لم يكن عليهم الا أن يخضعوا لحكمه [1] . هكذا كانت حياة المسلمين في عهد رائدهم العظيم مُحَمَّد ﷺ، فناء مطلق في سبيل هذه العقيدة السامية التي حررت حياتهم من الجمود والطغيان والفساد وأرست لهم قواعد نظام جديد متين.

و ما إن انتقل الرسول الكريم بالرفيق الأعلى حتى أحسّ المسلمون بفراغ كبير، فواجهتهم مسؤوليات حاسمة كان عليهم أن يتحملوها وهنا بدأ الاختلاف بالتحديد في مسألة الخلافة ، أي من له أحقية قيادة المسلمين. فظهرت أولى الفرق الإسلامية في القرن الأول الهجري وهي: الخوارج والشيعة والمرجئـة. [2] وهنا حدثت أمور دارت حولها منازعات و اختلفت فيها وجهات النظر بين المسلمين ,تلك هي مسألة الإمامة والخلافة .

يقول الشهرستاني «....وأعظم خلاف بين الأمة ،خلاف الإمامة إذ ما سُلَّ سيف في الإسلام على قاعدة دينية مثل ما سل على الامامة .» [3]

---

[1] عبد الحكيم بليغ ، أدب المعتزلة إلى نهاية القرن الرابع الهجري ،دا النهضة ، مصر للطبع و النشر ،1969، ط2، ص 11

[2] أحمد أمين فجر الإسلام ،دار الكتاب العري ، بيروت لبنان ، 969 ،ط10، ص 252

[3] الشهريتناي ، الملل و النحل ، ج1، تح عبد العزيم مُحَمَّد الوكيل ، مؤسسة الحلبي و شركاه للنشر و التوزيع ، القاهرة ، د ت ، ص 22

فبعد ولاية أبي بكر و عمر و عثمان شرعت الأهواء والمطامع ، و ربها الأحقاد تتضارب فيما بين الذين كانوا يسعون إلى الاستئثار بالخلافة .[1]

فهذه المسألة –أي الخلافة– تعتبر من وجهة نظر المؤرخين جلّهم أول قضية جوهرية تفرقت فيها كلمة المسلمين بعد موت النّبي ﷺ و تكونت حولها أهم الفرق الإسلامية، و التي ظهرت في القرن الأوّل الهجري، فكانت الفتنه بقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه سببا في تفرق المسلمين شيَعًا وأحزابا و منشأ لعقائد السّوء ثم تلاحق الاختلاف و تزايد.

بدأ الخلاف والجدال كما ذكرنا في التسابق نحو كرسي السّلطة: أهي محصورة في قريش، أم هي في علي رضي الله عنه و آل بيته، أم هي بالاختيار من أيٍّ من المسلمين كان[2] .

ثم تشعب الاختلاف في الاعتقاد حول الجبر والاختبار و حكم مرتكب الكبيرة، و حول صفاته تعالى ، و هل القرآن مخلوق أو غير مخلوق، و حول ماهيه الإيمان، و بذلك انقسمت الفرق إلى خوارج و شيعة ومرجئة و كرامية و مجسّمة و جهمية و قدرية ، و معتزلة و بعضهم سمّى من أثبت الصفات صفاتية ، و من أنكرها سمّوه معطلة و جعلوا من المثبتين الأشعرية و المشبّهة و الكرامية ؛ ونشأت بجانب هذه الفرق طائفة الدّهرية و أهل الحلول من باطنية واسماعيلية و زنادقة و غيرهم ممن ظلوا و أضلوا.

و من أهم أسباب الاختلاف بينهم إمّا تقليبا أو تعصّبا أو تنازعا على الملك أو تأثّرًا من مجاورة أهل الديانات القديمة، كما أن ترجمة الفلسفة قد عرض لبحث كثير من المسائل الغامضة فاختلفوا فيها. و كذلك القصص من الديانات السابقة، أدى إلى دخول الإسرائيليات[3] و إلى الخلاف في قبولها وردها.

---

[1] إليا حاوي ، الفنون الأدبية عند العرب ،دار النشر للثقافة و التوزيع ، بيروت ، دط، 1997، ص 72

[2] إسحاق عزوز الفرق الإسلامية ، دار ابن حزم للطباعة و النّشر والتوزيع ، بيروت ، ط1 ، 1995، ص 09

[3] المرجع نفسه ، ص11

كما أن من الأسباب التي أدت إلى الاختلاف، تفاوت النظر فيما ورد في القرآن من متشابه و دلالات، و الأسباب الرئيسية نوردها كما يلي:

- اختلافهم في صفات الله تعالى نفيًا و إثباتا لظواهر أو تأويلها .
- اختلافهم في الوعد والوعيد ، من قائلٍ أن العبد يستحق الثواب والعقاب بأمره تعالى ونهيه ، ومن قائل استحقاقه للثّواب والعقاب إنّما يستوجبه اختياره، لأن أفعاله لا تصدر منه إلّا باختياره، و ليس مجبوراً عليها.
- اختلافهم في القدر ما بين قائلٍ بالجبر وقائلٍ بالاختيار ، و اختلافهم في معنى عدله تعالى من قائل بأن العدل هو تصرفه في ملكه ، يفعل ما يشاء و يحكم ما يريد: أي تصرفه في ذلك على مقتضى مشيئته وعلمه ، و من قائل أن العدل هو الإتيان بالأمور وفق ما يقتضيه العقل من الحكمة :أي إصدار الفعل على وجه المصلحة.
- و اختلافهم في مسائل الإيمان و الإرجاء و التكفير و التضليل ، و هل رعاية مصالح العباد واجبة على الله ام لا يجب عليه شيء، و ماهية الإيمان من قائل أنه هو التصديق بالقلب و من قائل أنّه الإقرار باللّسان ، و من قائل أن العلم جزء منه.

كما أن مسألة الخلافة و العصمة و شرائطها و كيفيه انتقالها كانت سببًا في تعدّد الآراء والتفكير..

إضافة إلى هذه الأسباب التي دعت إلى ظهور الفرق الإسلامية نجد أن الثّقافة الأجنبية كان لها الأثر العميق في الفكر الإسلامي، فحينما انتشر الإسلام وفي شتى البقاع و بسط سلطانه ، و أكّد صلاحيته لحكم دول كبيره التقى فيها مزيج من الثقافات و الأجناس والديانات والتقاليد الشيء الذي أدّى إلى احتكاك قوي بين العرب والاعاجم .

كانت هذه باختصار أهم الأسباب و الدواعي لظهور الفرق الدينية ، و المعتزلة كانت من أهم هذه الفرق و أبرزها في الساحة العقائدية و الكلامية وقد نالت هذه الفرقة عناية كبرة من طرف باحثين و مؤرخين في الشرق و الغرب[1] .

ولقد تعددت الدّراسات و البحوث حول هذه المدرسة الفكرية الكبيرة التي كان ظهورها نقطة تحول واضحة في تاريخ الفكر الإسلامي.

ثانيا :المعتـــــــــــــــــزلة:

1- نشأتها :

إن الاعتزال في نظر الجاحظ هو «التّوسط والاعتدال بين التقصير و الافراط [2] » ، و قد اختلفت الروايات حول ظهور هذه الفرقة و حول مبدأ تسميتها بهذا الاسم ،و نقتصر في هذا المجال على روايات أرى أنها الأقرب إلى الواقع و منها:

أنهم لقبوا بالمعتزلة لأنّ هناك حادثه تاريخيه شهيرة ذكرها أغلب المؤرخين كنقطة انطلاق لمذهب مستقل له مبادئه و أسسه الخاصة به، و قد نقل هذه الحادثة أكثر من مؤرّخ و منهم صاحب الملل والنّحل الذي روي قائلاً:« دخل واحد على الحسن البصري فقال يا إمام لقد ظهرت في زماننا جماعة يكفّرون اصحاب الكبائر و الكبيرة عندهم كفر يخرج بها عن الملّة، و هم الخوارج ، و جماعه يرجئون أصحاب الكبائر و الكبيرة عندهم لا تضر مع الإيمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة ، و هم مرجئة الأمه .فكيف تحكم لنا في ذلك اعتقادًا؟ ففكر الحسن البصري في ذلك وقبل أن يجيب قال واصل بن عطاء: أنا لا أقول أنّ صاحب الكبيرة مؤمن مطلقا، و لا كافرٌ مطلقًا

---

[1] صبري خدمتلي ، العقيدة و الفرق الإسلامية ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، دت ، دط ، ص 09

[2] علي بوملحم ، المناحي الفلسفية عند الجاحظ ، دار الطليعة ، بيروت ، ط2 ، 1988 ، ص 131

بل هو في منزلة بين المنزلتين ،ثم قال: – و اعتزل إلى ركن من أركان المسجد يقرّر ما أجاب به على جماعة الحسن، فقال الحسن اعتزَلَنا واصل فسُمّيَ هو وأصحابه معتزلةً.[1]

و هناك من الدّارسين من يرى أن هذه الحادثة و علاقتها بالمعتزلة ضعيفة من جملهة وجوه :

- إحداها أنّ انتقال واصل بن عطاء من حلقة المسجد إلى أخرى، ليست بالأمر الهام الذي يصح أن نلقّب به هذه الفرقة.
- أخراها : اختلاف الروايات في نسب الانفصال، هل هي خاصة بعمر بن عبيد أم بواصل.
- كما أنّ كثيرا من الكتب تتكلم عن شخص فتقول أنه كان يقول بالاعتزال أو هو من أهل الاعتزال على ن اسم الاعتزال مذهب ذو مبادئ لا مجرد انفصال من مجلس إلى آخر.
- و سمَّوا كذلك اصحاب العدل و التوحيد و يلقبون بالقدرية و العدلية و قالوا:« لفظ القدرية يطلق على من يقول بالقدر خيره و شره من الله تعالى احترازا من وصمة القلب إذا كان الدم متفقعا عليه لقول النبي ﷺ القدرية مجوس هذه الامة[2] »

و تظل الروايات الراجحة في ظهور المعتزلة هي التي تتعلق بحادثة واصل بن عطاء كما ذكرها "الشّهرستاني" في مسألة مرتكب الكبيرة، حيث أن فريقا منهم يقول أنه كافر و فريق آخر يقول أنه مسلم ،و الحسن البصري يرى إنه منافق، في حين ذهب واصل بن عطاء إلى القول بأنه في منزلة بين الكافر و المسلم .

و قضية الحكم في مرتكب الكبيرة قضية دينية من الطراز الأول، و لكنها قد أصبحت قضية سياسية كذلك،[3] كما أن هناك بعض النقاد و المؤرخين يذهبون للقول بأن تسميتهم بالمعتزلة هو لقب لقبه

---

[1] الشهرستاني ، الملل و النّحل ،ص48

[2] المرجع نفسهً 43

[3] عز الدين اسماعيل ، الأدب العباسي الرؤية و الفن ، دار النهضة العربية للطباعة و النشر ، بيروت دط ، 1975

بهم اليهود بما عندهم من كلمة "الفورشيم" و معناها الاعتزال و قالوا : لا يبعد أن يكون هذا الاسم أو هذا اللّفظ قد أطلقه على المعتزلة قوم ممن أسلم من اليهود .[1]

و يذهب المستشرق الالماني "فون كوديمير "" VONGEMER" للقول بأن:

« المعتزلة نشأت من النصرانية لأن آباء الكنائس كانوا يتبادلون في حرية الإرادة و أن الإنسان مجبور أم مخيّر ، أو بعبارة أخرى في مسألة القدر ، كما كانوا يتجادلون في صفات الله ، و قد تسربت هذه العقائد إلى المعتزلة عن طريق النّصارى، بعد فتح المسلمين للشام» .[2]

و مهما يكن اختلاف الدّارسين في أسباب تسمية هذه الفرقة فإن السبب الرئيسي هو حادثة الجدل حول مرتكب الكبيرة، فكانت هذه الحادثة بمثابة القطرة التي أفاضت الكأس ،و بهذا تشكلت فرقة المعتزلة كمدرسة فكرية لها مبادؤها .

يقول الجاحظ :«و خير الأقاويل بل أعدلها و أرضاها عند الله أقصدها و لذلك اخترنا الاعتزال مذهبا و جعلناه نحلة و مفخرة » [3].

2- رواد المعتزلــة و مدارسهم:

أ- الواصلية: و رائدها "واصل بن عطاء " الذي كان تلميذًا للحسن البصري يقرأ عليه العلوم و الأخبار و كان في أيام عبد الملك بن مروان، و هشام بن عبد الملك .

ب- الهذيْليَة : أصحاب أبي الهُذيل حمدان بن الهذيل العلّاف شيخ المعتزلة و مقدم الطائلة و مقرر الطريقة و المناظرُ، عليها أخد الاعتزال من عثمان بن خالد الطويل عن واصل بن عطاء .

---

[1] احمد أمين ، فجر الاسلام ، ج2 ، مكتبة النهضة المصرية القاهرة ، ط11 ، دت ، ص299

[2] أحمد أمين ، فجر الإسلام ، ج1 ، دار الكتاب العربي ، بيروت لبنان ، ط10 ، دت ، ص344

[3] الجاحظ ، البيان و التبيين ، ص 350

(*)توفي أحمد بن خايط سنة 232 هـ

(*)توفي الحدثي سنة 207 هـ.

(*)توفي بشر بن اتلمعتمر سنة 266 هـ

ج– النّظَّامية:أصحاب ابراهيم بن يسار بن هانئ النظّام و قد طالع الكثيرا من كتب الفلاسفة و خَلَطَ كلامهم بكلام المعتزلة ،و من أصحاب النّظّام: الفضل الحَدَثِي و أحمد بن خابط .

د–الخابطية و الحدثية : أصحاب أحمد بن خابط(*) ،و كذلك أصحاب الفضل الحدثي(*) و كان من أصحاب النّظام .

هـ– البِشْرية : هم أصحاب بشر بن المعتمر(*) و كان من أفضل علماء المعتزلة و هو الذي أحدث القول بالتولد و أَفْرطَ فيه .

و–المعمّرية :أصحاب معمر بن عباد السّلمي و هو من أعظم القدرية في تدقيق القول بنفي القدر خيره و شره .

ز–الشمّامية :أصحاب شامة بن أشرس اليَمنري*[1]كان جامعا بين سخفة الدّين و خلاعة النفس مع اعتقاده بأن الفاسق يخلد في النار إذا مات على فسقه من غير توبة .

ج–الهاشمية :أصحاب هشام بن عمرو الفوطي(*) كان مبالغا في القدر أكثر من مبالغة أصحابه .

ط–الجاحظية: أصحاب عمرو بن بحر أبي عثمان الجاحظ(*) كان من فضلاء المعتزلة و قد طالع كثيرا من كتب الفلاسفة و خلط و روج كثيرا من مقالاتهم بعباراته البليغة.

(*)توفي أحمد بن خابط سنة 232 هـ

(*)(الفضل الحدثي ، توفي سنة 207هـ

(*)بشر بن المعتمر ، توفي سنة 266هـ

(*) شامة بن أشرس اليمنري ،توفي سنة213 هـ

(*)هشام بن عمر الفوطي ، توفي سنة 266هـ

(*)توفي الجاحظ سنة 319 هـ

(*)أبو الحسين بن إبي عمرو الخيّاط ،توفي سنة 295 هـ

ي– الخياطية و الكعبية: أصحاب أبي الحسن بن أبي عمرو الخياط[*] أستاذ أبي القاسم ن مُحَمَّد الكعبي[*] و هما من معتزلة بغداد و مذهبهما واحد .

ك–الجبائية و البهشمية :أصحاب أبي علي مُحَمَّد بن عبد الوهاب الجبائي* و ابنه أبي هشام عبد السلام*، و هما من معتزلة البصرة و قد اتفقا على نفي رؤية الله تعالى بالأبصار في دار القرار .

3– مبادئ المعتزلة :

قام مذهب الاعتزال على خمسة مبادئ أساسية ،من اعتنقها جميعا استحقّ أن يكون معتزليا، وسنستعرض فيما يأتي هذه المبادئ ، و مدى أهميّتها في مذهب الاعتزال لنمّد بذلك بيان أثرها في أدبهم، و مما لاشك فيه أنّ هذه المبادئ هي القاعدة التي بنى عليها المعتزلة خلاصة إنتاجهم الأدبي ، فمناظراتهم و خطبهم و شعرهم كانت تدور كلّها أو معظمها حول هذه الأصول و نستهلّها بالحديث عن التّوحيد ثم ننتقل إلى العدل ، فالوعد و الوعيد ، ثم المعتزلة بين المنزلتين ، و أخيرا الأمر بالعروف و النّهي عن المنكر.

الأصل الأوّل : التّوحيد

يعتبر هذا الأصل من أقوى الأصول الذي تجمّع حوله المعتزلة ، و قام عليها مذهبهم ، فالمعتزلة هم وحدهم المعنيون بالتوحيد و الذّب عنه من بين العالمين ، و أن الكلام في التّوحيد كلّه لهم دون سواهم[1]، و هذا هو الأصل عندهم ، و هو يدور عندهم حول ما يثبت الله و ما يُنفى عنه من الصّفات ، و يدلّ ذلك تعريفهم له .

---

[*]ابو القاسم بن مُحَمَّد الكعبي ،توفي سنة 321 هـ

[*]أبو علي مُحَمَّد بن عبد الوهاب الجباني توفي ، سنة 295 هـ

[1] عبد الحكيم بلبع ، أدب المعتزلة إلى غاية القرن الرابع الهجري ،ص45

[*]هو أبو الحسن عبد الجبار بن الخليل بن عبد الله الأسد بادي ولد سنة 320 هـ على الأرجح و توفي سنة 415 هـ كان أشعريا ثم انتقل إلى الإعتزال بعد اتصاله بالمعتزلي أبي اسحاق بن عياش و ولي القضاء بعد وفاة الصاحب سنة 385 هـ من مؤلفاته المغني في أبواب العدل و التوحيد ، شرح الأصول الخمسة ، تنزيه القرآن عن المطاعن .

يقول القاضي عبد الجبّار(*) ، و هو يعرّف التوحيد لغة و اصطلاحا بقوله :« و الأصل فيه أن التوحيد في أهل اللغة العربية عبارة عمّا به يصير الشيء واحدا كما أن التحريك عباره عما يصير شيء متحرك والتسويد عباره عما يصير الشيء أسودا ثم يستعمل في الخبر عن كون الشيء واحدا لما لم يكن الخبر صادقا إلّا و هو واحد، فصار ذلك كالإثبات، فإنّه في أصل اللّغة عباره عن الايجاب...»[1].

و أمّا التّوحيد في اصطلاح المتكلمين فهو العلم بأن الله عزّ وجلّ واحد لا شريك له، ولا يشاركه أحد في الملك في ما يستحق من الصفات نفيًا وإثباتًا على الحد الذي يستحقه و الاقرار به، ولا بد من اعتبار هذين الشرطين: العلم والاقرار جميعًا لأنّه لو علم و لم يقرّ أو أقرّ ولم يعلم لم يكن لم يكن موحّدًا.[2]

و على ذلك فهذا الأصل يبحث في مذهب المعتزلة، في صفاته تعالى، وما يثبت له وما ينفع عنه وموقف جمهور المعتزلة من صفاته تعالى: أنه عالم بذاته، لا بعلم زائدا على ذاته، وهكذا في سائر الصّفات إلَّا أنّ أبا الهذيل العلَّاف خالفهم وأتى برأي آخر وقال إنّ الله عالم بعلم ،وعلمه ذاته قادر بقدرة ، وقدرته ذاته حي بحياة وحياته ذاته...[3]

لقد سلك المعتزلة –حسبما تبين و ما ذكر في بعض المصادر– طريقين في موقفهم من الصّفات فأغلبيتهم وعلى راسهم النّظام نفاها فقال:« إنّ الله عالم بذاته لا بعلم ...» وهكذا في باقي الصفات ،و بعضهم أثبتها اِسما و نفاها فعلا، فقال:« إنّ الله عالم بعلمٍ وعلمه ذاته...» وهكذا في

---

[1] عبد الجبار بن أحمد بن الخليل ، شرح الأصول الخمسة . تعليق الإمام أحمد بن الحسين بن أبي هخاشم ، تحقيق الدكتور عبد الكريم عثمان ، مكتبة وهبة القاهرة ط3 ، 1976، ص13 –14

[2] المرجع نفسه ، ص 128

[3] الشّهرستاني ، الملل و النّحل ، ص53

بقيه الصفات ، و قد جعل المعتزلة الصفات في عين الذات فالله عالم بذاته بدون علمٍ أو عالمٍ بعلمٍ وعلمُه ذاتُه.[1]

و على هذا نقول أن عقيده التّوحيد ذاتها أصل من أصول الدّين الاسلامي وركن من أركان الايمان، ولا يمكن أن يكون الانسان مسلما إلّا إذا كان موحّدا، أو شهد أن لا اله إلّا الله وأن مُحَمَّد رسول الله، وقد استشهدوا بآيات على ذلك من القران الكريم منها :﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾[2]

و قد كان واصل بن عطاء يشرع فيها على قولٍ ظاهرٍ، والاتفاق على استحالة وجود إلاهين قديمين أزليَيْن ، فالتّوحيد عند المعتزلة هو تنزيه الله عن مشابهه المخلوقين، فهو ليس بجسم ولا عرض ولاعنصرٍ ولا جزء ولا جوهر، [3]و لا يحصره مكان ولا زمان، وقد أولوا الآيات التي يفهم منها مشابهته للمخلوقات، و كان رأي المعتزلة في نفي الصّفات و نفي التّشبيه والتّجسيم جرّاء تسرب الفلسفه اليونانيه.

الأصل الثاني العدل:

إن البحث في العدل عند المعتزلة بحث في أفعال الله تعالى،و أفعاله تأتي بعد إثباته و لإثبات صفاته وعلى ذلك فمجيء العدل بعد التوحيد ينبني عليه .

يقول القاضي عبد الجبار:« وأما الأصل الثاني من الأصول الخمسة و هو الكلام في العدل و هو كلام يرجع إلى أفعال القديم تعالى ، وما لا يجوز فلذلك أوجبنا تأخير الكلام في العدل عن الكلام في التوحيد...»[4]

---

[1] ينظر ألبير نصر كامل ، فلسفة المعتزلة فلاسفة الإسلام الأسبقين ،التوحيد (الله العالم) ج1، دار النشر للثقافة ،الأسكندرية مصر دط ،1951/1950 ص 46-48

[2] سورة الشورى آية 11

[3] شوقي ضيف ، تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الأول ، ج1 ، دار بالمعارف مصر، دت ، ط10، ص134

[4] عبد الجبار بن أحمد، شرح الأصول الخمسة، ص301

والعدل في اصطلاح المتكلمين المراد به أن أفعاله تعالى كلها حسنة وأنه لا يفعل القبيح، ولا يُخل بما هو واجب عليه.[1]

والعدل إنما هو بحث في أفعال الله تعالى، و أفعال الله عزّ وجلّ كلها حسنة، ولذا فهم ينزّهونه تعالى عن فعل القبيح، حتى أنّهم نفوا أن يكون خالقًا لأفعال العباد، لما فيها من القبيح، كما ينزلونه تعالى عن الإخلال بما هو واجب عليه، و الفعل عند المعتزلة كما ذهب إليه القاضي عبد الجبار هو ما وجد من جهة من كان قادرًا عليه،[2] والعدل هو أنَّ أفعال الله كلها حسنه وأنّه لا يفعل القبيح، و لا يخل بما هو واجب عليه، وأنّه لا يكذب في خيره ،ولا يجور في حكمه، و لا يعذّب أطفال المشركين بذنوب آبائهم، ولا يظهر المعجزة على الكاذبين، ولا يكلف العباد ما لا يطيقون، ولا يعلمون بل يقدّرهم.[3]

وعلى هذا فقد اتفق المعتزلة على أنّ الله عادل وأنّ عدله يقتضي مادام قد كلّف الإنسان أنْ يعمل له قدره وإرادة ، بحيث يكون الإنسان هو المحدث للأفعال والمسئول عنها، لأنّه الخالق لأفعاله واستدلّوا في ذلك بعدّة آيات منها قوله تعالى:﴿ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾[4] وقوله تعالى في سوره النحل آية 36 : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ﴾ وكذالك قـــول رســـول الله ﷺ «لا يؤمنُ عبدٌ حتىّ يؤمنَ بالقدر خيره وشرّه، و حتى يعلم أن ما أصابَه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه .» [5]، وقد ذهبت المعتزلة تؤصّل على هذا الأصل فكره خلق العباد لأفعالهم و أنّهم أحرار في إرادتهم، لكي يثابوا أو يعاقبوا على أفعالهم، و الله وحده هو مصدر العدل الإلهي.

---

[1] المرجع نفسه و الصفحة نفسها.

[2] عبد الجبار بن أحمد ، المغني في أبوب التوحيد و العدل ،ج6 ، تح الدكتور ابراهيم بإشراف الدكتور طه حسين ، دط ، دت ، ص5

[3] ينظر عبد الجبار بن أحمد ، شرح الأصول الخمسة، ص133

[4] سورة الإنسان آية 3

[5] ابن حنبل ، المسند ج 2 ، 181

الأصل الثالث: الوعد والوعيد

و الكلام عن الوعد يتطلّب منّا الكشف عن حقيقة الوعد، وهو كما ذكره القاضي عبد الجبار: « هو الخبر المتضمّن إيصال النّفع إلى الغير إلى أو دفع الضّرر عنه في المستقبل سواءً كان حسنا مستحقا أم لا، وحقيقة الوعد هو أنّه خبر يتضمّن إيصال الضرر إلى الغير أو تفويت مفع عنه في المستقبل ، ولا فرق بين أن يكون حسنا مستحقا وبين أن لا يكون كذلك .ألّا ترى أنه كما يقال إن الله توعد العصاة بالعقاب ، قد يقال : توعّد السلطان الغير بإتلاف نفسه... مع أنّه لا يستحق ولا يحسن[1]»

والمعتزلة ترى أنّ الله يجب أن ينفّذ وعده، بل و أنّ المكلّف ينال ما وعد به عن طريق الاستحقاق والثواب، يجب على الله للعبد عن طريق الاستحقاق ،هذا بالنسبة للوعد أمّا الوعيد ولكي يتضح في ررؤى المعتزلة لابد من إيراد بعضٍ من أقوالهم في هذا ، أو أقوال من نقل عنهم يقول القاضي عبد الجبار: «... و أما علوم الوعد والوعيد فهو أن الله تعالى وعد المطيعين بالثواب وتوعد العصاة بالعقاب وأنّه يفعل ما وعد به و توعّد عليه ،لا محاله ولا يجوز عليه الخَلَفُ و الكذب...[2]»

و يقول الشهرستاني حاكيا رأي المعتزلة في الوعيد:« ...واتفقوا على أنّ المؤمن إذا خرح من الدنيا من غير توبة عن كبيرة ارتكبها يستحق الخلود في النار، و لكن يكون عقابه أخف من عقاب الكافر»[3].

من هذه النصوص يظهر لنا رأي المعتزلة في الوعيد ،وهو أن الفاسق إذا مات على غير توبة عن كبيرة ارتكبها يستحق النّار مخلّدًا فيها لأن الله سبحانه وتعالى توعّده بذلك ، ولا بد أنْ ينفّد

---

[1] عبد الجبار بن أحمد شرح الصول الخمسة ، ص135

[2] عبد الجبار بن أحمد شرح الصول الخمسة ، ص135-136

[3] الشهرستاني ، الملل و النحل ، ج1 ،ص 45

وعيده، لكن عذابه يكون أخف من عذاب الكافر، والله صادق في ما وعد، ولا مبدّل لكلماته وهم بهذا الأصل يردّون على المرجئة الذين يرجئون الحكم على مرتكب الكبيرة فالله يغفر لمرتكب الكبيرة إثمه إلّا إذا تاب وأناب ، وهو لابد مدخل الأتقياء الجنّة حسب وعده الذي وعده و مدخل العصاة النّار حسب إيعاده الذي أوعده .[1] قال تعالى:﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾﴾ [2]

إنّ هذا المبدأ يحمل على المعتزلة اهتمامهم بالجانب السلوكي ويمكن اقتباس ذلك من الظروف التاريخية لنشأة هذا الأصل، ومن الأثر النفسي الذي يحدثه في نفوس المكلّفين، فمن حيث هذا الأثر للقول بالوعد والوعيد فإن الاعتقاد بأنّ مرتكب المعاصي يستلزم عقابًا نافذًا يبعث في النّفس تصميما على مناداتها و الابتعاد عنها ،حيث تفقد الأمل في التّراب وينسد أمامها طريق التعلم بالغفران، مع مفارقة الذّنوب.

الأصل الرابع :المنزلة بين المنزلتين:

يعتبر هذا الأصل نقطة البدء في نشأة المعتزلة وقد سبق وأن أشرنا إلى الحديث عن نشأة المعتزلة وسبب تسميتهم ،أن هذا الأصل هو سبب الاختلاف بين واصل بن عطاء والحسن البصري حيث أتى واصل برأي خاص في مرتكب الكبيرة، وعلى إثره اعتزل واصل حلقة الحسن البصري العلمية، يقرّ بهذا الرأي على ما من انضمّ إليه واستحسن رأيه فسمّاهم الناس بذلك بالمعتزلة وبدأ مذهبهم يظهر إلى الوجود بصفه مستقلة، و قد كان من العوامل التي دعت إلى إثارة هذا النقاش حول مرتكب الكبيرة أن الحروب السياسية من مقتل عثمان ،وموقعه الجمل وصفّين جعلت النّاس يتساءلون من المحقّ و من المخطئ ؟

---

[1] ينظر شوقي ضيف ، تاريخ الأدب العربي ، العصر العباسي الأول ج3 ، ص134

[2] سورة الزلزلة آية 6

ثم انتقل من ذلك إلى القول بأن المخطئ كافر أو مؤمنٌ، فكانت الخوارج تقول بكفر مرتكبي الذّنوب والمرجئة تقول أنهم مؤمنون كاملوا الإيمان ، و أهل السنّة يقولون: إنّهم مؤمنون ناقصوا الإيمان، قد نقص إيمانهم بقدر ما ارتكبوا من الكبائر فقال واصل : إنهم فاسقون في منزلة بين منزلتي الكفر والإيمان. فمالمقصود بالمنزلة بين المنزلتين يا ترى؟

ذهب القاضي عبد الجبار في قوله:« والأصل في ذلك أن هذه العبارة إنّما تستعمل في شيءٍ بين شيئين ينجذب إلى كل واحد منهما بشبه، هذا في أصل اللّغة.»[1]، وقد ذهب ابن المرتضى بالقول بأن الفاسق لا يسمى مؤمنًا ولا كافرا .[2]

من هذا يظهر مقصود المنزلة بين المنزلتين، هو أنّ مرتكب الكبيرة ليس مؤمنا ولا كافرًا، لا في الاسم ولا في الحكم بل في منزلة بين المنزلتين فلا يسمى مؤمنا ولا كافرًاو إنّما يسمى فاسقًا ،وحكمه في ذلك بين الحكمين فلا يكون حكمه حكم الكافر ولا حكم المؤمن وإنّما له حكم بينهما ،هذا في الدنيا وأمّا في الآخرة فإنه يخلد في النار .

والقول بأن المسلم العاصي –كما لمحنا سابقا –في منزلة بين المؤمن والكافر ، و قد بيّنه الشهرستاني حيث يقول:« و وجه قوله أن واصلا بن عطاء قال: إن الإيمان عبارة عن خصال الخير إذا اجتمعت يسمّى المرء مؤمنا ،وهو اسم مدح و الفاسق لا يستكمل خصال الخير لا يستحق اسم المدح.»[3]

ومما نخرج إليه كمجملٍ للقول لما جاء في هذا المبدأ: هو أنّ المنزلة بين المنزلتين. أو حادثه مرتكب الكبيرة أوّل أساس لما ذكرناه في بناء مدرسه المعتزلة وقيامها.

---

[1] عبد الجبّار بن أحمد ، شرح الاصول الخمسة ،ص 137

[2] ينظر ابن المرتضى ، المنية و الأمل ، دط ، 1902، ص6

[3] الشهرستاني ، الملل و النحل ، ص 59

الأصل الخامس: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

هذا هو الأصل الآخر و الأخير من أصول المعتزلة، والمعروف عند المعتزلة هو الفعل الحسن الذي يفعله صاحبه أو فاعله ،وهو عارف حَسَنه أو أنّه يدلّل على حَسَنه ، أمّا المنكر فه كلّ فعلٍ عرف فاعله قبحه أو دلّ عليه.[1]

ومعنى هذا أن المنكر –عندهم– هو الفعل القبيح الذي يفعله الفاعل وهو عارف قبحه، أو يدلّل على هذا القبح. ولمعرفه حكم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عند المعتزلة لابد أن نسوق شيئا من أقوالهم في ذلك ومنها ما يقوله القاضي عبد الجبار أنّه لا خلاف في وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[2]، ويقول في موضع آخر أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو أن لا يضيع المعروف ولا يقع المنكر....[3]

.وقد ذهب الزمخشري (*)للقول بأنّ« الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر من فروض الكفايات»[4].

ومن هذه الأقوال يتضح حكم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عند المعتزلة و هو أنه واجب كفائي. وقد اعتمد وا في ذلك على أدلّة في وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واستدلوا من القرآن الكريم من خلال الآيه﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾[5] .

---

[1] ينظر عبد الجبار بن أحمد ، شرح الأصول الخمسة ، ص141

[2] ينظر المرجع نفسه ، ص142

[3] ينظر المرجع نفسه ،ص142

(*) الزمخشري هو أبو القاسم محمود بن عمر بن مُحَّد بن عمر الخوارزمي ، ولد في زمخشر سنة 467 هـ الموافق ل 1474م في أوزباكستان و توفي في 538هـ الموافق ل1143م في جرجانية في ايران له عدة مؤلّفات منها الكشاف ، رؤوس المسائل .....

[4] الزمخشري ، الكشاف ، ج 1 ، تح الشيخ عادل أحمد عبد الموجود و الشيخ علي مُحَّد معوّض ، مكتبة العبيكان ، ط1 ، 1418 هـ /1998م ، ص352

[5] سورة آل عمران لآية 110

وأما من السّنه فقد استدلوا بقول رسول الله ﷺ :«ليس لعين ترى الله يعصى فتطْرَفَ حتىّ تغيّر أو تنتقل...»[1]. و كذلك قوله تعالى :﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[2].

و قد قّرر المعتزلة هذا الأصل على المؤمنين أجمعين لنشر الإسلام وهداية الضالين ودفعًا لهجزم الذين يحاولون تلبيس الحق بالباطل ليفسدوا على المسلمين أمر دينهم ولذلك تصدوا للزنادقة الذين اندفعوا في أوّل العصر العباسي ، كما تصدّوا أيضًا لمناقشة أهل الحديث والفقه وحاولوا حملهم على أعناق آرائهم بالحجة والبرهان أو بالشدة و قوه السّلطان ، و هم يريدون به أنّ المسلمين ملزمون بهذا العمل ، و قد دفعوا الدّولة للضرب على أيدي المجّان و الفسّاق و أرباب الدّعارة ، و كذلك كان ينبغي أن يصرخوا في وجوه الخلفاء ضدد طغيانهم و ظلمهم للعامة ، و أن يصارحهم بنظرية الإسلام في الخلافة و أنّه لبست حقا من حقوق أهل البيت البيت وأنّها حق الأكفّاء من أبناء الأمة[3] ، و هذا المبدأ عموما مشرّع إسلاميًا لكن المعتزلة جعلوه مبدأً من مبادئهم.

و بهذا يتضح أن الأصول الخمسة التي أقام عليها المعتزلة فكرهم العقائدي تخدم محورًا موحدًا: هو انصر العمل التطبيقي وذلك حسب تحديد قيمة العمل، وجعله عنصرا أساسيًا من الإيمان لا يتحقق بدونه ، و ضمان دافع خارجي يشيّد ذاك الدّافع الدّاخلي، وينهيه ، وهو ما تضمّنه أصل الامر بالمعروف والنهي عن المنكر.[4]

---

[1] الحديث أخرجه ابن ماجة .

[2] سورة آل عمران آية 104

[3] ينظر شوقي ضيف ، تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الأول ج3 ، ص 135

[4] ينظر علي الشّابي ، المعتزلة بين الفكر و العمل ، الشركة التونسيية للتوزيع ، ط2 ، 1986 ، ص 199

ثالثا :أثر المعتزلة في الفكر الإسلامي وجهادها في نشر العقيدة الإسلامية:

لقد كان للمعتزلة دور هام وإيجابي فاعل في تحرير الفكر الإسلامي من حاله الجمود على النص (أي النص القرآني)، واتباع الأساليب التّقليدية في النّقاش والحوار والاكتفاء بالنصوص القرآنية و الأحاديث وحدها في الرّد على معارضي الفكر الإسلامي من مشكّكين و زنادقة وملحدين و أصحاب الدّيانات والمعتقدات الأخرى الغريبة عن روح الدين الإسلامي ومبادئه. والذين كان المجتمع الإسلامي يعجّ بهم أثناء الحكم العباسي نتيجة اختلاط المجتمع الإسلامي بعناصر عديده من الأمم والشعوب الأخرى التي حملت معها معتقداتها ومبادئها وأفكارها، ونشاط حركة التّرجمة من تراث تلك الأمم والشعوب.

و إلى ذلك لم التفكير السّني وحده كافيا بأساليبه التّقليدية و بنزعته المالية إلى التّهرب من الجدل والحوار ،والاستعانة بالأساليب العقلية والمنطقية والفلسفية التي دخلت المجتمع الإسلامي من الثقافات والحضارات الأخرى،

و يروى في هذا المجال أنّ أحمد بن حنبل قال للخليفة حين نوقش في مسألة خلق القرآن وسدّت المذاهب عليه :«... اعطوني شيئا من كتاب الله عزّ وجلّ وسنة رسوله أقول بها»[1].

و قد كان للمعتزلة في التوفيق بين السّنه و العقل ،وبين الفكر الإسلامي الأصيل وبين المعطيات الفكرية للثقافات والحضارات الأخرى وخصوصًا الحضارة اليونانية فلقد اكتشفوا أن الطّريق الأمثل للدفاع عن المعتقدات الإسلامية إزاء أصحاب المعتقدات الأخرى الذين كانوا يحاولون دوما النّيل من تلك المعتقدات، هو الاطلاع على الأساليب العقلية والمنطقية والكلامية والفلسفية التي تتبعها تلك الثقافات والحضارات في إثبات صحة أسسها ومبادئها وتمثُّل تلك

[1] عبد الرحمان بن الجوزي مناقب الأمام أحمد بن حنبل ، تح عبد المحسن التّركي ، دار هدر ، بيروت ، دط، 1988 ، ص 256

الأساليب وتوظيفها في الدفاع عن العقيدوة الاسلامية وتقديمها في صوره مقبولة ومقنعه إلى حمله المعتقدات والديانات الأخرى[1].

أمّا جهاد المعتزلة في نشر الدين الإسلامي؛ فتروي لنا كتب التّاريخ صورا كثيرة عن جهاد المعتزلة في نشر العقيدة الإسلامية بنفس السّلاح الفلسفي والمنطقي الذي كان يتسلّح به أعداء الدّين الإسلامي آنذاك من الزنادقة والملحدين ، ويروى في هذا أن أبا "الهذيل العلّاف " كان من أشد رجال المعتزلـــة صلاية عودٍ و قـــوّة حجّة و كان من أكثرهم دأبًا للرد على المعارضين ومناظـــرة المخالفـــين [2].

و بذلك يمكننا أن نخلص للقول أنّ المعتزلة قد قدمت الكثير إلى الفكر والحضارة الإسلامية ،حيث أنّها قد أسهمت بشكل فاعل في نقل التراث اليوناني والثقافة في جانبها الفلسفي والعقلي إلى الحضارة الاسلامية وذلك من خلال اطلاعها على تلك الثقافة و تمثلها لمعطياتها العقلية والفلسفية ، وبذلك فقد كان لرجالاتها الفضل في الجمع بين الدين والفلسفة ، وبفضل تسلح المعتزلة بسلاح الفلسفة و المنطق و علم الكلام و أساليب الجدال و المناظرة فإنّهم قد أدّو دورا كبيرا وبارزًا في الدّفاع عن العقيدة الإسلامية إزاء المعتقدات والدّيانات الأخرى كالمسيحية واليهودية والمشركة والإلحادية كالمجوسية والثّنوية والمانوية ،و قد تتمثل هذا الدّور إمّا في مناقشه وإبطال حجج أصحاب تلك المعتقدات والديانات،أو في دعوه غير المسلمين الطالبين للحقيقة إلى الإيمان بالعقيدة الإسلامية.

و قد أرسى المعتزلة حركة عقلية واسعة كان لها أكبر الأثر في صياغه الحضارة الإسلامية، نظرا إلى أنّ مذهبهم كان يقوم بالأساس على احترام العقل وتمجيده و التعويل عليه في استنباط واستنتاج الكثير من الأحكام الشرعية من جهة وأساليب التفكير السليم من جهة أخر، فبلغت هذه النهضة

---

[1] ينظر فالح الربيعي ، تاريخ المعتزلة ، فكرهم و عقائدهم ، الّدّار الثقافية للنّشر ، بيروت ،دط، دت ، ص20

[2] ينظر عبد الجبار بن أحمد ، المنية و الأمل ، ج1 ، تح الدكتور سامي النّشار و الدكتور عصام الدين مُحَمَّد ، دار المطبوعات الجامعية الإسكندرية ، دط ، 1972 ، ص 103

العقلية الجديدة التي أرسى المعتزلة دعائمها في حدّ من العمق والاتساع والتأثير في فكر الفرق الأخرى من أهل الكلام ، وكذا بعث رؤى جديدة في مسار أهل الفقه، فالأشاعرة مثلا، فرغم عدائهم للمعتزلة و حربهم الفكرية ضدّهم ؛ قد كانوا في بحوثهم الكلامية متأثرين بالمعتزلة إلى حد كبير.[1]

[1] ينظر زهدي جار الله ، المعتزلة ، الأهلية للنشر و التوزيع ،بيروت ط 1 ، 1974 ، ص 255

الفصل الثاني

صفات الخطابة الاعتزالية.

- أولا : الخطابة الوسيلة لبلوغ الغاية
- ثانيا :اسهامات المعتزلة في النّثر الأدبي
- ثالثا :واصل بن عطاء
- رابعا : خطبة واصب بن عطاء

أولا :الخطابة الوسيلة لبلوغ الغاية:

أولا : الخطابة الوسيلة لبلوغ الغاية أ– تمهيد:

لا شك أن للمعتزلة أدب خاص طبع في كثير من عناصره و مقوماته بهذه الحياة التي عاشتها في كفاح مستمر لنصرة العقل و نشر المبادئ التي اعتنقتها و كرّست كل جهودها من أجل الحفاظ عليها و إرسائها.

كما تميّز هذا الأدب بصبغة تلك العقلية الناضجة الواعية المتفتحة التي نمت في ظل خليط هائل من الثقافات المختلفة التي تتّسم في مجملها في العمق و الخصوبة و الاتساع.

فإذا كان الأدب رصدا مسجلا للأحداث التي يعيشها الأديب، و المشكلات التي يعانيها مجتمعه فإن أدب المعتزلة – و النثر خاصة – كان مرآة صادفية للأحداث التي عاشتها كمدرسة فكرية لها مبادئ و أصول تدافع عنها و تناضل من أجل بلورتها في المجتمع؛ كما كان نقلا حيا لثقافتها النّاضجة التي ملئت الفكر الإسلامي، و أحدثت قدرته على تمثيل الثقافات العملية في شتى جوانبها.

و قد كان نثر المعتزلة حقيقة لمبادئها العقلية الفلسفية الخاصة، و ما كانت تضمنه من ألوان و فنون المناقشة حول قضاياها العقائدية، التي بلغت صلابتها على أيدي رجالاتها بقوة الحجّة و سداد المنطق، و دقة التحليل، و براعة الدّليل و البرهان، هذا ما فرضه عليهم واجب الدّفاع عن دينهم و الوقوف في وجه خصومهم من الفرق الأخـــــرى، لا بالسّيف و القوة، لكن بالعقل و البرهان .

فشغل المعتزليين الشاغل الذي وهبوه كل وقتهم، هو التصدي للزّنادقة و أعداد الإسلام.

كما أن الموضوعات العادية لم تهمل لدى هذه الفرقة، بل كان لها نصيب من نشاطهم الأدبي.

و خصائص الأدب الإعتزالي ينفرد بنوعية خاصة، صبغت هذه النّوعية بثقافتهم و ظروف حياتهم العقلية و لذلك فإن أبرز لون أدبي تراه عند المعتزلة فيما تبقّى لنا من آثارهم هو "الخطابة".

هذا اللون الأدبي الذي كان عنوان الفصاحة و البلاغة و أداة الجدال و علم الكلام.[1]

فلا شك أن الخطابة اصطبغت بميزة خاصة جعلتها فريدة من نوعها.

إذن فيما اتسم هذا الفن يا ترى عند فصحاء هذا المذهب؟

ب- مدى أهمية هذا الفن بالنسبة لهذه الفرقة:

من الأشياء التي يفتقر إليها الباحث أثناء تفتيشه بين جوانب أدب المعتزلة، و لا يكاد يجدها: "الخطبة"، رغم ما تحدثت عنه المصادر من وفرة إنتاجهم الأدبي إلا أن ما بقي منها شيء قليل، و قليل جدًا على عكس ما ضاع منه.

فمعظم آثار المعتزلة أتلفت، و الخطابة كانت أكثرها إتلافا، ذلك لأن الخطابة كانت بمثابة الوقود و الوسيلة في إذكاء حماسهم و إيمانهم بمبدئهم و كانت المعتزلة أعمق الحركات الفكرية. مضمونا إنسانيا فلسفيا و أكثرها بلورةً لمشكلة العقل و النّقل. [2]

و قد حاول أئمة هذه الفرقة فرض سلطة العقل على الدين، بحيث يوفقون بين تعاليمه، و القياس العقلي المنطقي، منادين بالحرية الإنسانية، مقررين بحدوث العقاب و الثواب، نافين رؤية الله بالأبصار، إلى غير ذلك من الآراء الفلسفية الدينية.

فكان لا بد لهم الخطبة لشرح عقائدهم و نصرة مبادئهم، و الرّد على خصومهم و مناظرتهم لأصحاب الملل و النّحل[3] من الفوق الأخرى و كذا أهل الكفر.

---

[1] ينظر عمر الدّقاق ، مصادر التراث العربي في اللغة و المعاجم و الأدب و التراجم ، جامعة حلب كلية الأدب ، ط1 ، 1977 ، ص 85

[2] ينظر أيليا الحاوي ، فن الخطابة و تطوره عند العرب ، دار الشرق الجديد ، بيروت ،ط1 ، 1960 ، ص 103

[3] ينظر شوقي ضيف ، تاريخ الأدب العربي ، العصر العباسي الأول ،ج3 ، ص 133

و إنّ صلة المعتزلة بالخطابة وتمكنيهم فيها كانت قائمه على الدعوة إلى هذا المذهب و أيّهم بهذا الاعتبار محتاجون إليها كوسيله من وسائله الدّاعية إلى آرائهم.

ومن الملاحظ أن الخطابة لدي هذه الفرقة طبعت بسمات وخصائص مكنتها من اكتساب مكانه عالية وارتقت بها إلى طبقات ساميه من التطور.

كان الدّافع لهذا الرقي فصاحة و بلاغة دعاة هذا المذهب وقدرتهم البلاغية. حيث يقول الجاحظ: « فقد كان واصل داعية مقالة ورئيس نحلة، والمقالة التي يريدها هي مقالة الاعتزال، وهي نفسها النّحلة ، وكان له دعاة يطوفون بأركان الأرض ليبلغوا الصين شرقا و بلاد البربر غربا.»[1]

ونفهم من هذا أنهم كانوا فصيحي اللسان و بارعين في القول معتمدين على الإنتاج وقوة الحجة .

و لئن دلّت هذه الظاهرة على شيء فإنها تدل على أنّ خطباء المعتزلة كانوا أقدر معاصريهم بلاغة وتمكّنا.

« ويحكى أنّ واصلا لمّا تتابع عليه ما يُثْبِتُ زندقة بشار بن برد و هو صديقه قال:

أما لهذا الأعمى المكتني بأبي معاذ من يقتله؟ أما والله لولا أنّ الغيلة* خلقٌ من أخلاق الغالبه لبعثت أليه من يبعج بطنه على مضجعه، ثم لا يكون الأسد وسيًا أو عقيليًا ...فقال هذا الأعمى»[2].

و الملاحظ من هذا القول أن ثمة شيء يثير الاهتمام وهو قوة الألفاظ المستعملة كما أنّه – أي واصلا– تجنّب استعمال حرف الرّاء لا شيء سوى أنّه كان ألثغًا قبيح اللثغة في الرّاء فكان يخلص كلامه من هذا الحرف؛ لا يفطن لذلك اقتداره وسهوله ألفاظه ،كما أن "بشرَ بن المعتمر"

---

[1] الجاحظ ، البيان و التبيين ، ج2 ، ص206

*الغيلة : الاغتيال و القتل .

[2] المبرّد ، الكامل ، أخبار الخوارج في اللغة و الادب و النّحو و التصريف ، دار الفكر ، دط ، دت ، ص 25

كان مميَّزا في براعه القول و فصاحة اللّسان ، وله مواقف عدة نذكر منها ما رواه الجاحظ في كتابه البيان والتبيين عندما مرَّ بشر بن المعتمر* بإبراهيم بن جبلة* و ابن مخزمة السّكوني الخطيب و هو يعلّم فتيانه ، فوقف بشر ، فظنّ ابراهيم أنّه إنّما وقف ليستفيد أو يكون رجلا من النّظارة، فقال بشر: اضربوا عمّا قال صفحا ، و اطروا عنه كشحًا ، ثم دفه إليهم صحيفة من تجبيره ...[1]

وقد اشتهرت هذه الصحيفة التي لقّن فيها فتيان المعتزلة أصول الخطابة وأساليب الجدل و الإقناع والوعظ.

ونحن نرى في اعتقادنا أنّ واصل بن عطاء و بشر بن المعتمر وأمثالهما قوم يتحمّسون لدينهم ويصدقون في الدفاع عنه ونلمس العاطفة الدينية القوية في خطبهم.[2]

وقد خصصوا أنفسهم للوعظ و الخطابة الدينية وما إليهما ، وكان هؤلاء المعتزلة في نشأتهم وحياتهم أصحاب هذا المذهب و إن اتصل مذهبهم آخر الأمر بالسّياسة على صورة من الصور. وقد ظهر في مستهل القرن الثاني الهجري خطر جديد يهدد اللإسلام في كيانه وفي أساسه ، لاح هذا الخطر في داخل الإسلام من قبل ممّن أسلم حديثا من اليهود والنصارى والمجوس والملاحدة من جرّاء الفتوحات السريعة المدهشة التي قام بها المسلمون... شعوب عديدة على أمرها قُهرت و اعتنقت الإسلام.[3]

و من جرّاء هذه الفتوحات لاح هذا الخطر الجديد على الإسلام فأخذ شيوخ المعتزلة على عاتقهم الدّفاع عن الإسلام ضد هذا الهجوم المهدّد لكيان الإسلام ، فكان بذلك الصّمود و مواجهه هذا الخطر بوسائل شتى أخذت وجوها عدة، ومن هذه الوجوه نجد الخطبة، التي نالت حصه الأسد في استعمالها كما أنها لعبت دورا هاما في نشر المبادئ والأصول.

---

[1] الجاحظ ، البيان و التبيين ، ج1 ،ص 135

*بشر بن المعتمر هو أبو سهل الهلالي مؤسس فرع الاعتزال في بغداد

*إبراهيم بن جبلة هو إبراهيم بن جبلة بن عرمة الملقب بابن جبلة الكندي عاش في دمشق (كندى) ،كنيته أبو اسحاق

[2] ينظر أحمد طاهر درويش ، الخطابة في صدر الإسلام ، عصر الدّولة الأموية ، ج2 ، دار المعارف ، بيروت ، دط ، دت ، ص267

[3] ينظر البير نصر نادر ، اهم الفرق الإسلامية الكلامية ، المطبعة الكاثوليكية ، ط2 ، 1966 ، ص 69

وقد جاءت هذه الخطب آخذةً أشكالا منها: المناظرات، الجدل الدّيني .

فكانت تقام هذه المناظرات سواء بينهم –أي المعتزلة – وبين فرق إسلاميه أخرى كأهل السّنه أو مع أصحاب الملل من الديانات الأخرى.

و هذا النّوع من الخطب كام قد شاع في العصر الأموي ، فكانت قد أخذت مكانها عند المعتزلة و على أنّ ما وصلنا منها قليل و على كلٍّ فهي تعني الجدل الكلامي اللاهوتي(*) .

و قد انتهت إلينا طائفه يسيرة من هذه المناظرات الدينية وهي قليلة ،فكانت أن اشتعلت في بادئ الأمر بين المعتزلة والفرق الإسلامية الأخرى وهي تبحث عن العقيدة والإيمان وصفات الله تعالى.

«وكانت للمعتزلة آراءٌ تدافع عنها ومبادئ تدود عنها : فهي تقول بحرية الإرادة و الفصل بين الإيمان والعمل فهم لا يحكمون على مسلمٍ في أعماله، بل يفوّضون الحكم إلى ربهم، وقد كانت هذه المناظرات تعقد بينهم وبين المرجئة والقدرية ،مشتعلة في مجالس الوعاظ ، بل لقد وصل شرَرُها إلى مجالس الخلفاء».[1]

و لقد وضعت في هذا الجدل ملامح ثقافتهم وتركزت فيها معالم مذهبهم، فلقد كانت الأساليب العربية أميل إلى البساطة و كان الكاتب أو الخطيب يندفع إلى غرضه في سهولة ويسر ويعني افكاره ومعانيه في حدود ما تواتيه به خبرته وتمد به ثقافته، في أسلوب بسيط يغلب عليه الطابع الخطابي ، أكثر ما يغلب عليه الطابع الجدلي البرهاني الذي يقوم على استخدام المنطق، وسعة الثقافة وحدّه الذهن.

إذن فالمعتزلة أول من استخدم ذلك الأسلوب الذي يقوم على البراعة في استخدام الدّليل [2].

---

[1] شوقي ضيف ، الفن و مذاهبه ، في النثر العربي ، دار المعارف ، مصر ، ط19 ، دت ، ص 79

(*)اللاهوت علم دراسة الإلهيات ، THEOLOGY أصلها يوناني ، THEO ومعناها الأله ، و logy : علم أو دراسة ، و المعنى الإجمالي هو دراسة الإلهيات دراسة منطقية و عقلية

[2] ينظر عبد الحكيم بلبع ، أدب المعتزلة إلى نهاية القرلان الرابع الهجري ،ص 121

ويعتمد على المنطق في إقحام الخصم وإلزامه بالحجة بل إنّهم أوّل من التفت إلى أن المناظرة يجب أن تكون فنًا خطابيا له أصول وقواعد لابد للمناظرين من مراعاتها، و منها :

- يقول الراغب الإصبهاني : «اجتمعع متكلّمان فقال أحدهما : هل لك في المناظره؟... فقال على شرائط: ألّا تغضب، و لا تعجب، و لا تشعب، و لا تحكم، و لا تَقبل على غيري و أنا أكلمك ، و لا تجعل الدّعوى دليلا ، و لا تُجوّز لنفسك تأويل آية على مذهبك الأجوز لتأويل مثلها على مذهبي ، و على أن تأثر التّصادق ، و تنقاد للتعارف ، و على أنّ كلامنا يبني مناظرته على أنّ الحق ضالته ، و الرّشيد غايته »[1] .

و نرى أن هذه الكلمة القصيرة تدل على وعي دقيق بطبيعة صياغة المناظرة و ما ينبغي أن يتوفّر لها من شروط، كما تدل على خبرة قائلها وأنّه قد مرّ بتجارب كثيرة في الميدان جعلته يلتفت و يتنتبه إلى الأخطاء التي يجب و ينبغي توخيها ،وز قد دارت عدّة مناظرات مع المرجئة و أهل السنّة في أحوال الدّين من صفاته تعالى و أوليته ، و كذا مصير الإنسان ، و هل هو حرّ ف أفعاله أو مسيّر ...

و قد احتفض المرتضي في آماليه بمناظرتِ واصل بن عطاء و عمرو بن عبيد في مرتكب الكبيرة أمام الحسن البصري[2]، وقد تحدثت بعض المصادر على أن تلك المناظر التي تبدو في أولها تطبيقا لأشكال القيّاس المنطقي أثنائها ، وممّا لا شك فيه أن الفكرة التي انتهى إليها واصل بن عطاء و هي أنّ مرتكب الكبيره في منزلة بين منزلتين.[3]

فهذه فكره دقيقه لا يصل إليها إلّا عقل متطلع ذو أفكار و معانٍ دقيقة جدّا و لسانٍ متمكنٍ في اللغه ونواحيها.

---

[1] الراغب الإصبهاني ، محاضرات الأدباء و محورات الشعراء و البلغاء ، هّبه و أخرجه ابراهيم زيدان ، مطبعة الهلال بمصر ،دط، 1902 ، ص 37

[2] ينظر ابن المرتضي ، الأمالي ،مج 1، تحقيق مُحَّد أبو الفضل ابراهيم ، الناشر عيسلا لبابي الحلبي ، دط، 1954 ، ص 165

[3] ينظر ابن المرتضي ، الأمالي ،مج 1، ، ص 166

ومنها كذلك مناظرة عمر بن عبد العزيز لصالح غلاف و ابن سويد و هما من المعتزلة ، و كذا ثـمامة بن أوس (*) الذي عرف بجداله السّاخن في بلاط المأمون، كما أنّ أبا الهذيل العلّاف يعدّ كذلك مت أشد أهل الاعتزال جدالا ، و قد ذكرت مصادر عديدة موقف له في مناظرات شتى و هذا نموذج من مناظراته :

«بلغ أبا الهذيل وهو في حدائته أنّ رجلا يهوديا قدم البصره و قطع جماعة من متكلّميها ،فقال لي عمه : يا عمّ امضي بي إلى هذا اليهودي حتى أكلّمه . ففال له عمّه : با بني كيف تكلّمه ، و قد عرفت خبره ، و أنّه قطع مشايخ المتكلّمين ؟ فقال : لا بّ أن تمضي إليه ... فمضى به ، قال : فوجدته يقرّر النّاس على نبوّة موسى عليه السلام ، فإذا اعترفو له بها ، قال : نحن عاى ما اتفقنا عليه إلى أن نجتمع على ما تدعونه ، فتقدّمت إليه فقلت : أسألك أن تسألني ؟ فقال : بل أسألك . فقلت : ذلك إليك . فقال لي : أتعرف بأنّ موسى نبي الله صادق أم تنكر ذلك فتخالف صاحبك ؟ فقلت له: إن كام موسى الذي تسألني عنه هو الذي بشّر بنبيّ و شهد بنبوّته ، و صدّقه فهو نبيّ صادق و إن كان غير من وصفت ، فذلك شيطان لا أعترف بنبوّته ، فورد عليه ما لم يكن في حسابه ، ثم قال لي : أتقول إنّ التوراة حقّ ؟ فقلت هذه المسألة تجري مجرى الولى ، إن كانت التوراة التي تسألني عنها هي التي تتضمن البشاربة بنبيّ عليه السلام ، فتلك حقّ ، و إن لم تكن كذلك فليست بحق و لا أقرّ بها .فبهت و أفحم و لم يدر ما يقول.»[1]

و من هنا نقول أنّ ألا الهذيل مجادلٌ لبقٌ حذر ،و قد سدّ على خصمه الطّريق من أوّل الأمر ولم يدعه يخطو إلى غايته خطوة واحدة ، دون أن يضع له العراقيل ، و لقد أراد اليهودي أن يضع له في باذئ الأمر قضيّة مسلمةً ، و هي صدق موسى ، حتى يبني عليها ما يريد من تقريره على نبوّته ، و لكنّ أبا الهذيل فاجأه بما لم يكن في حسبانه، و قطع عليه طريقه بقوله :« إن كان

(*)ثمامة بن أوس من زعماء المعتزلة أيام المأمون ، و قيل هو الذي دعاه إلى الإعتزال و كام معروفا بفصاحة و مقدرة على العدل ، و هو متطرّف عنيف بخصومه .

[1] ابن المرتضي ، الأمالي ،مج 1،ص 179

موسى الذي تسألني عنه...» ، يريد بذلك أن يضطرّ اليهوي إلى الإقرار بنبوّة محمّد ﷺ وهذا لأنّ اليهودي ما دام معترفا بنبوّه موسى و بصدقه .

و نلاحظ أن هذا الجدل يعطينا صورة رائعة من اللّباقة وحدّة الذّهن و البصر، بأساليب المناقشة الكلامية ،ذات الأسلوب الخطابي و القدرة الفائقة علي التّربص بخصمه، و السيطرة على الموقف حتى لا يفلت زمانه من يده ،و على هذا يمكن الأخذ بأنّ« ثقافه المعتزلة ومعرفتهم بمواقع الهجوم على خصومهم قد مكّنت لهم من النصير ، و جعلتهم قادرين على إقحام خصومهم و إلزامهم بالحجّة مستعملين بذلك العقل والمنطق[1]» .

و قد أنجحهم في المناظرة ما رزق به كثير منهم من رجاحة العقل و فصاحة اللّسان و القدرة على الخطابة ،و يروي الجاحظ أنّ بشر بن المعتمر المعتزلي هو واضح أصول الخطابة في اللغة العربية .[2]

و قد نقل أبلغ من كثير من البلغاء ، و هم تخيّروا الألفاظ لتلك المعاني ، و هم اشاقوا لها من كلام العرب تلك الأسماء ، و هم اصطلحوا على تسمية ما لم يكن في لغة العرب اسم ، فصاروا في ذلك سلفا لكل خلفٍ و قدروةً لكلّ تابع .

كما أنّ متكلّمي المعتزلة قد وضعوا في العربية الاسس التي يُنى عليه فيما بعد علم البحث و المناظرة في اعتقادي .

و للمعتزلة الفضل الأول في وضع الأسس الأولى لعلم الكلام و علم البلاغة و علم الجدل ،كما أنهم كانوا المنفد الأول الذي دخلت منه فلسفة المسلمين إلى الفلسفة اليونانية ، لأن المعتزلة هم أول من استعان بالفلسفة اليونانية ، و اشتقوا منه في نزاعهم و اقرار أصولهم و مبادئهم ، فهم أرباب النّظر دون جميع النّاس و أن الكلام لهم دون سواهم [3] .

---

[1] أبوو الفرج الإصفهاني ، الاغاني ج3، تحقيق إحسان عبّاس ، و ابراهيم السّعافين و بكري عبّاس ،دار صادر ، بيروت ، دط ، دت ، ص124

[2] الجاحظ ، البيانت و التبيين ، دت ، دط، ص 124

[3] ينظر الخيّاط ، الانتصارو الرّ د على ابن الروّندي الملحد ، تح نيبرغ ، أوراق شرقية للطباعة و النّشر ، بيروت ، لبنان ،ط2 ، ص1993، 14

إنّ دفاع المعتزلة عن دينهم باستعمال هذا النمط الجدلي ، و نقصد بذلك المناظرة تعطينا صورة عن نوع جديد منالنّثر العربي يخالف في جوهره الأنماط النّثرية الأخـــرى التي كانت مألوفة من قبل .

و على أي حال من الأحوال فإنّ هذا اللون الجديد يعدّ كفرع من فروع الخطابة الذي استعمل لدى هذه الفرقة و بصورة مكثّفة ، للوصول إلى مبتغاها من هزم خصومها و التّصدي لأعداء الاسلام خصوصا ؛ و قد اسهمت هذه الفرقة كثيرا في إثراء النّثر الأدبي بشكل خاص و الأدب العربي بشكل عام.

ثانيا : إسهامات المعتزلة في النثر الأدبي

لقد أسهم المعتزله كثيرا في الأدب العربي إذ حظيت الحركة الفكرية لدى هذه المدرسة بقسط وافر من الاهتمام من قبل المعنيين بشؤون الفكر العربي الاسلامي ، و يبدو أنّ هذا الاهتمام جاء نتيجه لما تتمتع بهذه من دور و مكانه وخاصة في مجمل تاريخ الحركة العقلية الاسلامية من جهة ،و بسبب آثارها في تعريف الثقافة العربية الاسلامية و تقريبها من الثّقافة اليونانية المتمثلة في الفلسفة و المنطق من جهة أخرى .

أمّا الشّيء المؤكّد بالنّسبه لحركة الاعتزال من الناحية التاريخية و ارتباطها بعلاقتها بالثّقافات القائمة مع نهايات القرن الأوّل الهجري ، فقد لعبت دورا ريّاديا فكريا وثقافيا وعقليا على امتداد ثلاثه قرون من تاريخ الثقافة العربيه ابتداءً من القرن الأول الهجري وصولا إلى عهود تالمأمون و المعتصم و الواثق.

إن حركة الاعتزال لم تكن مجرد حركة فلسفية عقلية على أهمية ذلك بل هي حركة أدبية واسعة أنجبت عددًا لا بأس به من الأدباء في الشعر والنثر .

أمّا في ما يخص النثر فكان هناك الكثير من الكتاب و المصنّفين الذين أغنوا الأدب العربي من الناحيتين الكمية و النّوعية ، فمن النّاحية الكميّة [1] أسهم المعتزلة في رفد الأدب العربي في عصوره المختلفة بالعديد من المؤلفات والمصنّفات في فروع المعرفة المختلفة و في مقدمتها الدراسات الكلامية و البيانية و البلاغيه و النقديه ، و من النّاحية النوعيه لا يخفى ما كان للأدباء و متكلّمي المعتزلة من درو ضخم في تطوير فن الكتابة و النّثر ، و إضفاء اتجاهات و أساليب و طوابع جديدة عليه ، و في هذا المجال تتبادر إلى الأذهان أسماء لامعة من رجال المعتزلة و أدباءهم ، قد أشرنا إلى بعضهم سابقا مثل الجاحظ ، و أب حيّان التوحديد و الزّمخشري ، و ابن أبي الحديد بالإضافة إلى رجال المعتزلة الأوائل أمثال واصل بن عطاء و عمر بن عبيد و النّظّام و الجبائي و بشر بن المعتمر و أبي الهذيل العلّاف و غيرهم ممّن شهد لهم المؤرّخون و علماء الادب و اللغة و معاصروهم بالفصاحة والبلاغة و التّبحّر في علوم اللغة و الأدب .

و لعلّ الخدمة الكبرى التي أسداها المعتزلة إلى الأدب العربي و خصوصا في جانبه النّثري تتمثل في إضفاء العمق و التّشعب عليه من خلال ذلك المزج الذي الرّائع الذي قاموا به بين الأسلوب الكلامي و العقلي و الفلسفي و في تناول و طرح القضايا و الموضوعات المختلفة ، و بن النّثر الادبي بطابعه الفنّي ،كما نرى هذا الاتجاه بوضوح لدى الجاحظ.

يقول الدكتور شوقي ضيف :« ... أفاد المعتزلة من الفلسفة التي نظّمت عقولهم تنظيما دقيقا و أن جعلتهم يحسنون استنباط الآراء و خصائص الأشياء كما جعلتهم يقتدرون على إيراد الحجج و البراهين و تشعيب المعاني و تفريعها.»[2]

---

[1] ينظر الحافظ بن أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، ليسان الميزان ، ج4 ، دار النشر مؤسسة الأعلمي للمطبوعات النظامية ، الهند ، دط ، 1329هـ- 1331هـ ، ص 337

[2] شوقي ضيف ، البلاغة تطور و تاريخ ، دار المعارف ، القاهرة ، ط9 ، 1995، ص35

ويتضح لنا أنّه هناك شبه إجماع بين مؤرخي الأدب ؛على أن علم البلاغه والبيان إنمّا وضعت أسسه ، و نما و ترعرع في مدرسة المعتزلة الكلامية و الدليل على ذلك أن الغالبية العظمى من المبرّزين في هذين العلمين ، و و اضعي المؤلّفات و المصنّفات فيهما و مشيّدي أسسهما هم من المعتزلة كالجاحظ في كتابه الذي شاد به أساس علم البلاغة (البيان و التبيين) ، و قبله بشر بن المعتمر في صحيفته الشّهيرة ، و قد وصفت هذه الصّحيفة بأنّها خير ما أُثر عن المعتزلة في البلاغة حتى أواخر القرن الثالث الهجري و قد نقلها الجاحظ في كتابه السالف الذّكر ، و صاحب الصّناعتين *[1]، ومن البلاغيين المعتزلة العتابي(*) و الرماني(*) و الزمخشري صاحب التفسير البلاغي والأدبي الشهير الكشاف و كتاب أسس البلاغة، و القاضي عبد الجبار المعتزلي الذي خصّص جزءًا كاملا في كتابه «المغني في أبواب التوحيد والعدل » لبحث إعجاز و أسرار البلاغة القرآنية ، و أبو حيان التّوحيدي في كتابه المقابسات و كتاب الامتناع ،و كتاب المؤانسة و رسالة في علم الكتابة.

.ومن الإسهامات الأخرى للمعتزلة في إغناء الناحية الشكلية من الأدب العربي:

ابتكارهم لموضوعات أدبية جديدة كالأدب الساخر و المتهكّم ، و طرح الموضوعات العلمية و الفلسفية في كتاباتهم ، وكالحديث عن الشيئ و نقيضه ، و وصف الحقائق و المفاهيم المعنوية .

و قد عرف المعتزلة أيضا بمقدرتهم الفذّة على الجدل و خروجهم منتصرين منه غي أغلب الحالات ، نتيجة لثقافتهم العفقلية و المنطقية الواسعة و تمرّسهم في قواعد و أساليب الجدل التي اقتبسوها من اليونانيين بالدّرجة الأولى بالإضافة إلى ما كان يتميّز به زعماؤهم من ذكاء و حضور بديهة .

---

[1] (*)صاحب الصّناعتين هو أبو الهلال العسكري الحسن بن عبد الله و لد عام 920 م و هو لإمام البلاغة و صناعة الأدب عالم من أعلام اللغة العربية له عدّة كتب منها: الفروق في اللغة ،جمهرة الأمثال ، الصّناعتين ....

(*)العتابي : هو أبو عمرو كلثوم ابن عمرو بن أيّوب العتابي التغلبي ، ولد سنة 135 هـ و توفي 220 هـ ،كاتب و شاعر مترسّل بليغ مطبوع .

(*)الرماني: هو أبو الحسن علي بن عيسى بن عبد الله الرماني ، مفسّرو فيلسوف معتزلي من كبار النّحاة ،كان متبحرا في علوم الفقه و اللغة و الكلام و الفلك . ألّف ما يفارب 100 كتاب ، لولد سنة296 هـ و توفي سنة 384 هـ

و في باب الوصف كان المعتزلة من أمهر الأدباء و النّاثرين في تقديم أوصاف دقيقة مستوعبة لجميع تفاصيل الموضوعات سواءً كانت مادية أو محسوسة ، أم معنوية مجرّدة كما رأينا ذلك عند الجاحظ و النّظام و ثمامة بن الأشرس ، و ذكرنا أن الخصاص التني نجدها في وصفهم من دقّة و شمولية إنّما هي من آثار المذهب الغعتزالي الذي يدعو صاحبه إلى التّأمّل و التّدقيق و تقصي الأشياء و الظواهر المحيطة به ، و هذا ما لمسناه في مناظراتهم و خطبهم .

و المعتزلة بسّطوا الموضوعات العلمية و الفلسفية المعقّدة و الشائكة ، و قدّموها إلى عامة الجمهور بأسلوب مبسّط جذّاب يتميّز بالطّابع الأدبي و الفنّي في الطّرح و التّناول . إن هذه الخصوصيه – أي إخضاع الموضوعات العلمية للأسلوب الأدبي – تمثل إحدى الخدمات الكبرى التي قدمها المعتزلة إلى الأدب العربي ،بعد أن كان النثر مقصورًا على الموضوعات والأغراض التقليدية.

و الجدير بالملاحظة أن المعتزلة قد تطرّقوا في نثرهم إلى قضايا مهمه لم يتطرق لها النّثر من قبل و من بين القضايا التي أدخلها المعتزلة في النّثر: القضايا الإنسانية، و قضايا الفلسفة والأخلاق الأديان ، و طبائع الناس و الحيوان و النبات و الأجناس ، و الأعراق و الملل و النّحل ، و الطبيعه إلى غير ذلك من الموضوعات التي أوردها المعتزلة في آدابهم.

لقد أصبح النّثر العربي عن طريق المعتزلة أكثر سعه و رحابه من ذي قبل، وذلك بفضل الزخم الفكري و الثقافي الموسوعي الذي ميّز المعتزلةعمّا سواهم و استيعابهم لثقافه زمانهم المرتبطه بكلٍّ من الثقافة اليونانية و الثقافة الهندية وبطبيعة الحال الثقافة العربيه الإسلامية التي ينتمون إليها.

وهذا كله يدعونا للحديث عن البلاغة لدى المعتزلة؛ فقد كان يقابل طائفة المعلمين من النّحاة واللّغويين طائفة ثانية من معلمين كانوا يعنون بمسائل البيان و البلاغه، لاتصالها بما كانوا ينهضون به من الخطابة و المناظرة و نقصد طائفة المتكلمين، فقد احتدمت المناظرات بين هؤلاء المعلمين

و احتدمت معها الأسئله في نجاح المناظر و الخطيب ، إذْ كان جمهور هؤلاء المعلمين يعنى بوعظ النّاس ، و كان منهم من يحسن الخطابة و المناظرة و الجدل و منهم من لا يوفّيها جميعا حقوقها ، فكثر الحديث في قوة الحجج و وضوح العبارة و دقّتها ، و في جهارة الصّوت ، و و في ملامح المتكلّم ، و في ملاءمته بين كلامه و المستمعين . و كان يعنى كلّ صاحب نحلة فيهم أنة يجمع من حوله الشّباب و أن لا ينصرفوا إلى خصومه ، فأخذو يقفونهم على النّقص في الحجج و الأدلّة ، و النّقص في الآداء و البيان كما أخذوا يقفونهم على أسرار المهارة في الإقناع و الظّهر بالخصوم و أسرار البراعة في القول فمضوا يمرّنوهم على المناظرة تدريبًا، لهم فهذا الحسن البصري مثلا يدعو تلميذه "عمرو بن عبيد" لمناظرتة واصل بن عطاء في الحكم على مرتكب الكبيرة[1].

و المعتزله في الواقع من أمثال النّظّامي و ثمامة بن أشرس و واصل هم السّابقون بين طوائف المتكلمين في البيان البارع ، فتراهم يأخذون أنغسهم بثقافه عربيه أصيلة مضيفين إليها ألوانا من الثقافات الأجنبيه.

فالبلاغة عند هذه الفرقة في أوّل الأمر اجتماع آلة البلاغة و ذلك أن يكون الهخطيب رابط الجأش ، ساكن الجوارح قليل اللّحظ ، متخيّر اللّفظ ، لا يكلم سيد الأمّة بكلام الأمة و لا الملوك بكلام السوقة و يكون في قواه فضل التّصرف في كل طبقة و لا يدقّق المعنى كل التّدقيق ،و لاى ينقح الالفاظ كلّ التّنقيح ، ولا يصفيها كل التّصفية ، و لا يهذّبها كلّ التّهخذيب و لا يفعل ذلك حتى يصادف حكيمًا أو فيلسوفا عليما ، و من قد حذف فصول الكلام و اسقاط مشتركات الألفاظ[2] كما أن الاسم يكون طبقا و وفقا ، و يكون مع ذلك ذاكرا لما عقد عليه أوّل كلامه . و هذا يكشف لنا على أن الخطيب يجب أن يكون ثبت الجنان هادى النّفس حاى لا يصيبه دهش من شأنه أن يعقد لسانه ،كما تطلّب إليه أن يتخير لفظة ،و أن يلاءم بين كلامه و مستمعيه ،

---

[1] ينظر ابن المرتضى ، الأمالي ، صج1 ، ص 165

[2] ينظر شوقي ضيف ، البلاغة تطور و تاريخ ، ص 37

و أن يكون فيه قدرة على أحسان جميع ضروب الكلام ، بحث لا يصعب عليه وجه من وجوه القـــول.

و كذلك على الخطيب أن لا يتعمّق في معانيه حتى لا يُفضى به ذلك إلى شيء من الغموض كما ينبغي أن لايسرف في تنقيح لفظه حتى لا يخرج إلى أساليب غريبة .[1]

و نمضي و نقول : إنّ التكلّم بالكلام المصفى المنقّح إنّما يوجّه لمن خبّر بالمعاني من الحكماء و الفلاسفة ممن لا يحتاجون إلى إطناب ،و من يعرفون حقوق الكلام ،كما أن دقّة استخدام الكلمة عند المعتزلة لها وزنها في مناظرتهم و خطبهم فتفي بمعناها الذي وضعت له لا زياده و لا نقصان ، و دون اشتراك مع كلمات أخرى و دلالات . ينبغي أن نلاحظ أنّ المعتزلة قد درسوا آداب وثقافات أجنبية من فارسية و هندية ، و يونانية و رومانية و غيرها ، ليس من اجل اعتناقها بل كانوا يريدون أن يوازنوا بين آراء الاجانب و آراء العرب في بلاغة الكلام ، هذه الدراسات التي قاموا بها جعلتهم يكتسبون مهارات كانوا السّباقين لها في شتى مناحي الأدب عامة و النّثر خاصة ، و الخطب و المناظرات بشكل أخص .

و على هذا نقول أن المعتزلة كحركة قد مثّلت منعطفا تاريخيا في مجمل الحياة العربي الثقافية على أكثر من صعيد ، فهم مفكّرون و عفلانيون من طراز رفيع في لحضتهم التاريخية ، و ناثرون من الطراز نفسه قدّموا للثقافه العربية منجزات و إبداعات جديرة بالاهتمام في النثر كما في الفكر و الفلسفه بطبيعه الحال.

و لكن فيما يبدو بقدر ما حظي المعتزلة كمفكرين باهتمام منذ مدّة طويلة، فإنهم بالمقابل بحاجة إلى مزيد من تسليط الضوء عليهم كأدباء و ناثرين و متكلمين، وكذا كشعراء حيث لا يزال هذا الجانب من حركة المعتزلة لم ينل ما يستحقه من اهتمام وعناية.

---

[1] ينظر الجاحظ ، البيان و التّبين ، ج1 ، ص 92

لقد أشرنا في مرات عديدة أن المعتزلة عرفت بمقدرة رجالها الفذّة على الجدل و خروجهم غالبين، و هذا نتيجة لثقافتهم الفلسفية و العقلية المنطقية واحترافيتهم في دروب الجدل و المناظرة. وكان كل الفضل يعود إلى الدّاعية الأوّل لهذا الاتجاه و المذاهب الكلامي ألَا و هو واصل بن عطاء؛ فلولا إيمانه بفكرته لما وصل الحدّ بهذه تالفرقة بأن تضم هذا الكم الهائل من المتكلمين و الأدباء و الفلاسفة و المفكرين و الشعراء الذين اعطوا الكثير والكثير للأدب العربي و الفكر الإسلامي، بغض النّظر عن ما قالوه في قضية خلق القرآن .

ثالثا :واصل بن عطاء:

هو أبو حذيفه واصل بن عطاء[1] أصله من الموالي و لكن أختلف في ولائه : هل لبني ضبّة* أم لبني مخزوم أم بني هاشم[2] و كانت ولادته بالمدينة المنورة سنة 80هـ / 688م و الظاهر أنّ نسبة ولادته لبني هاشم يعود لما ترويه بعض المصادر أن دراسته و تأدّبه كان على يد مُحَمَّد بن الحنفية أو ولد أبو هاشم [3] عبد الله بن مُحَمَّد بن الحنفية.

باللإضافة إلى كنيته أبو حذيفة كان يكنى بأبي الجعد [4] و ربّما نسبه إلى الجعد بن درهم الذي كان يقول بنفي الصّفات ، و الت قال بها واصل بن عطاء فيما بعد .

لُقب واصل بالبصري و الغزال و قد يكون سبب تلقيبه بالبصري نسبة لمدرسة البصرة المعتزلية *.

*لم يتضح إلى أنّ بن ضبّة ينسب بواصل ، فهناك ضبّة بن آد بن طابغة بن إلياس ، و هناك صبّة قريش نسبه إلى ضبّة بن الحارث و هناك ضبّة بن هذيل نسبه إلى ضبة بن عمرو بن الحارث .

(1) ينظر المبرّد ، الكامل ، ص 585-587

(2) الاشريف المرتضى ، الأمالي ، ج1، ص175

(3)ينظر الشهرستاني ، الملل و النّحل،ص 121

(4) الجاحظ ، الابيان و التبيين ، ص47

*الجعد بن درهم من الموالي قتله خالد القشري لنفيه الصّفات.

* للمعتزلة مدرستان : مدرسة البصرة ، و ينسب تأسيسها لواصل ، و مدرسة بغداد و ينسب تأسيسها لبشر بن المعتمر .

و أما الغزال فلقب به لأنّه كان يكثر الجلوس في سوق الغزّالين ، أو أنّه كان يجلس عند رضيع له يعرف بأبي عبد الله الغزّال مولى قطن الهلالي [1] و يقال أن سبب جلوسه في سوق الغزل لكي يعرف المتعفّفات من النّساء فيجعل صدقة لهنّ[2] ، و لذلك قال صفوان الأنصاري يمدحه :

تلَقّبَ بالغزالِ واحد عصرهِ فمن لليتَامى و القَبيلُ المكَاثرُ.[3]

إنّ إطلاق اللقب أعلاه على واصل كما أطلقت ألقاب على البعض و لم يكونوا مصداقالتلك الألقاب كلقب خالد الحذّاء و لم يكن حذّاءا ،و أبو مالك السّدي لأنّ كان يبيع الخمر في سدّة المسجد .[4]

و قد أمدّتنا المصادر بصفتين من صفات واصل بن عطاء الجسمية و هما : طول العنق و اللّثغة ، حيث عرف واصل بطول عنقه حتى كان موضع استهزاء الآخرين به ، فيقال :« أنّ عمرو بن عبيد نظر إلى واصل قبل مناظرته فقال : لا يفلح هذا ما دانت عليه هذه العنق » فلمّا برع واصل و أصبح له شأن ، قال عمرو : ربّما أخطأت الفراسة [5]، و كذاك أشار الشاعر بشار بن برد ساخرا من واصل قائلا :

ماذا منَّيْتُ بغزالٍ له عُنُـــــقٌ كعنُقِ الدَّوِّ إنْ ولَّى و إنْ مثَلَا

عُنُقُ الزّرافة ما بالي و بَالُكم تُكَفِّرُونَ رجَالًا أَكْفَرُوا رجـالًا.[6]

أما بالنسبة للثغة ، فقد كان واصل ألثغ بالرّاء قبيح اللثغة فكان لا يذكر كلمة فيها راء، و إنّما يستبدلها بما يراد منها لاقتداره في اللغة[7] إذْ قال الجاحظ « و لمّا علم واصل بن عطاء أنه

---

[1] الجاحظ ، البيان و النبيين ، ص50

[2] المبرد ، الكامل ، ص 586

[3] الجاحظ ، البيان و التبيين ، ص 45

[4] الجاحظ البيان و التبيين ،ص 50، 51

[5] ينظر أبو هلال العسكري ، الأوائل ، ص 270.

[6] ينظر الجاحظ ، البيان و التّبيين ، ص 38

[7] ينظر الشريف المرتضى ، الامالي ، ص 176

ألثغ فاحش اللّثغة ، و أنّ مخرج ذلك منه شنيع ، و أنّه داعية مقالة و رئيس نحلة ،و أنّه يريد الاحتجاج علة أرباب النّحل و زعماء الملل ... رام أبو حذيفة إسقاط الراء من كلامه و إخراجها من حروف منطقه ...»[1]

وذهب المبرد للقول بحق واصل :«...كان واصل بن عطاء أحد الأعاجيب ، وذلك أنّه كان ألثغ قبيح اللّثغة في الرّاء ، فكان يُخَلِّص كلامه من الرّاء و لا يفطن و ذلك لاقتداره و سهولة ألفاظه ، و في ذلك يقول شاعر المعتزلة ، أبو الصراوق الضبي يمدحه بإطالة الخطب و اجتنابه الرّاء على كثرة تردّدها في الكلام ، حتى كأنّها ليت فيه :

عليهم بإبدال الحروف و قامعٌ لكلّ خطيب يغلب الحقّ باطله[2]

وقال لآخر :

و يجعل البُرّ قَمْحًا في تصرّفه و خَالِف الرّاء حتَّى احتال للشّعر

و لم يطق مطراً و القول يجعله فَعَادَ بالغَيثِ إِشْفَاقًـــا منَ المطَرِ [3]

و الملاحظ على واصل أنّه لم يترك الرّاء في خطبه المحفوظة و رسائله فقط و إنّما في مجابهه خصومه و مفاوضة إخوانه، فعلى سبيل المثال قيل واصل: كيف تقول أسرع الفرس ؟فقال :البدّ الجواد. فقال له آخر: كيف تقول ركب فرسه و جرّ رمحه؟ فقال: استوى على جواده و سحب عامله.[4]

و ذهب الذهبي إلى القول أنّ واصل بن عطاء تجنّب الرّاء حتى في قراءة القرآن و لذلك أجاز قراءته بالمعنى، إذ يقول : «و يحكى عنه(واصل) أنّه كان يُمتحن بأشياء في الرّاء ....فإذا قرأ أوّل

---

(1) الجاحظ البيان و التّبين. ص 36- 37

(2) ابن العباس شمس الدين بن خلكان ، وفيات الأعيان و أنباء أبناء أهل الزمان ،ج6، تحقيق احسان عبّاس ، دار صادر بيروت ، دط، دت، ص07

(3) المرجع نفسه ، ص 08

(4) الشريف المرتضى ، الأمالي ، ج1، ص 176

سورةٍ، فقال على البديهيه : عهد من الله و نبيه إلى الذين عاهدهم من الفاسقين...» فكان يجيز القراءة بالمعنى ، و هذه جرأة على كتاب الله تعالى .[1]

فكان واصل بن عطاء يُضرب به المثل في إسقاطه حرف الرّاء من كلامه و استعمل الشّعراء ذلك في شعرهم كثيرا، فمنه قول أبي مُحَمَّد بن الخازن* . من جملة قصيدة طويلة يمدح بها أحدهم

نعَمْ تَجنّبَ لا يَوْمَ العَطَاءِ كَمَا... تجنَّبَ بن عطاء لفظة الرّاءِ[2]

وقد عرف على واصل – على ما وصلنا- بالتقوى و كثره العبادة و الانشغال بالعلم ،فعلى سبيل المثال :سُئلت زوجة واصل و هي أم يوسف أخت عمر بن عبيد: أيّهما أفضل؟ فقالت :بينهما كما بين السّماء و الأرض. فقيل كيف كان عملهما ؟ فقالت: كان واصل إذا جنا اللّيل صفَّ قدميه يُصلّي و أمامه لووحٌ و دواة...[3]

و اتصف بالزّهد و قد قيل أنّه لم يقبض دينارًا و لا درهما ولدى مدحه صفوان الأنصاري قائلا:

فَمَا مَسّ دينارًا و لا صَرَّ دِرْهمًا و لا عرف الثّوْبَ الذي هو قَاطِعُهُ .[4]

تتلمذ واصل بن عطاء على يد الحسن البصري [5]و المعروف أن الأخير من أهالي البصرة و كان مجلس الحسن البصري في مسجد البصرة يضمّ أعدادًا من طلبة العلم الذين ما برحوا أن تخصّصَ كل واحدٍ منهم في اتجاهٍ ما ، فكان قتاده في التفسير وفرقد السّنجى في التصوف و واصل وعمرو في الكلام.

---

[1] الذّهبي ، سير أعلام النّبلاء ، ج5، ص 465

هو أبو الحسن علي بن محمذ بن ابراهيم بن عمر الشيخي، و عرف بابن الخازن لأنّه كان أمينا لمكتبة دمشق ولد عام 678هـ و توفي، 741هـ

[2] ابن خلّكان وفيات الأعيان ، ج6، ص 8

[3] ينظر الشريف المرتضى ، طبقات المعتزلة ، تح سوس ديقلد قليزر ، بيروت لبنان ، دط ، 1380هـ /1960م ، ص31-32

[4] أبو هلال العسكري ، الأوابل ، ص 272

[5] ينظر ابن المرتضى ، طبقات المعتزلة ، ص 18-24

و مـمّا جاء ذكره في معجم الأدباء لياقوت الحموي، أنّ واصلا كان شاعرًا ، لكن لم تصلنا كتاباته أو إشارات إلى شعر واصل.

و لم يكن واصل بمعزل عن التّيارات السّياسية و الفكرية في عصره و المعروف أنّ القرن الأوّل الهجري كان ميدانًا للصّراع السّياسي و الفكري، بعد وفاه الرسول ﷺ اختلف المسلمون في من يرعى أمور المسلمين و الأحداث بعد ذلك حيث ظهرت حركة كلامية سياسية و هي الخوارج [1]، و كذلك الفتوحات الإسلامية لمختلف الأقطار و دخول أجناس في الإسلام.

و أمّا مواقف واصل السياسية فقد أشار الإصفهاني إلى مناظرة "مُحَمَّد النّفس الزكية" و أنّه بايع لأخيه ابراهيم.[2]

أ– هو و الجاحظ:

إنّ من البديهي أنّ الجاحظ لم يدرك واصل بن عطاء لأن مولد الجاحظ كان في سنه 105 هـ[3] و وفاة واصل كانت في سنة 131هـ.

لكن الجاحظ قد أدرك رجلاً له صلة بواصل بن عطاء هو جعفر ابن أخت واصل، عرفه الجاحظ وسمع منه إنشادًا لشعرٍ رواه في كتاب الحيوان.[4]

وقد أعجب الجاحظ بواصل و بصحة عقله فهو يقول في كتاب الحيوان عند الكلام عن الجن: «لأنهم لم يسلّوا على الصحيح العقل ، و لو كان ذلك إليهم لبدءوا بعلي بن أبي طالب ، و حمزة بن عبد المطّلب و أبي بكر و عمر و الحسن و واصل[5].

---

[1] ابن الحسين المعتزلي ، الانتصار و الرد على ابن الروندي الملحد ، ص93

[2] أبو الفرج الاصفهاني ، ، مقاتل الطالبيّين ، تح ، أحمد صقر ، دط، مؤسسة الأعملي ، للمطبوعات ، بيروت، دت ، ص 258

[3] الإمام الحافظ بن علي بن حجر العسقلاني ، لسان الميزان ، اعتنى به شيخ العلامة عبد الفتّاح أبو عدّة

[4] الجاحظ ، البان و التبيين ،ص 234

[5] الجاحظ ، الحيوان ، ج2، تح عبد السلام مُحَمَّد هارون ، ط2، مطبعة مصطفى البابي الحلبي و اولاده ، مصر ، ط2، 1965

ب- عبقرية واصل:

كان واصل على جانب كبير من العبقرية و الذّكاء و جرأة العقل و القلب و من ذلك ما رواه عنه المبرد أنّه في مرة كان برفقتة فحص فأحسّوا العطب من الخوارج حيث خرج إليهم فقالوا: ما أنت و أصحابك؟ قال مشركون مستجيرون ليسمعوا كلام الله وليعرفوا حدوده فقالوا : قد أجرناكم قال فعلمونا، فجعلوا يعلّمونه أحكامهم - أي واصل- و كان يقول :قبلت أنا و من معي قالوا فامضوا مصاحبين فإنّكم إخواننا، قال ليس ذلك لكم ، قال الله تعالى:﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ﴾ فأبلغونا مأمننا فنظر بعضهم إلى بعض – أي الخوارج – ثم قالوا ذلك لكم ، فساروا بأجمعهم حتى بلّغوهم المأمن [1].

و هذا الخبر يطوي وراءه اعتراضا بعبقرية هذا الرجل و زعامته الفطرية ، و من خلال هذه الحادثة لم سعيت لإلقاء الضوء و لو كان يسيرا على هذه الشّخصية الفذّة التي تعدّ رأسًا من رؤوس المعتزلة التي قامت دعوتهم على المناضرة و المجادلة و التي اعتمدت في كثير الأحيان على الخطابة و على البيان و على الجرأة في مواقف المخاصمة و المنازعة .

ج- وفاته:

توفي واصل عام131هـ الموافق ل748م إلّا أنّ المصادر لم تحدد مكان الوفاة بالتّدقيق و ظروفها، و أين كان دفنه، وبعد وفاته تناقل الآخرون آراءه فأضافوا آراءً جديدة، حتى جاء الخياط(ت 300هـ) بعد ما يقارب القرنين فحدّد المعتزلي بمن يقول بالأصول الخمسة .[2]

توفي بعد حياتة خصّصت لإيجاد أجوبه للمشكلات التي طرحت على الساحة الإسلامية سواءً من المسلمين أو من غيرهم عن طريق المناظرة أو الخطابة أو التأليف أو إرساء الدّعاء و خير ما وصلنا

---

[1] ينظر المبرّد ، الكامل ، باب اختبا الخوارج ،ص 105

[2] ينظر المبرّد ، الكامل ، ص 587

خطبته الشّهيره منزوعة الرّاء و التي تعدّ تحفة كلامية و أدبية تناقلها المؤرخون للأدب ولعلم الكلام، و التي ما زالت محل تأمّل و بحث المبحث من قبل الباحثين.

رابعا: خطبة واصل بن عطاء:

إنّ مناسبة هذه الخطبة و كما جاء في نوادر المخطوطات – أنّه أقيم حفلٌ جامعٌ حشد له أقدر الخطباء و ؟ أبرعهم و أجودهم إلقاءً ، و كان ذلك بالعراق ، إذ اجتمع عليه القوم و الناس ليشهدوا جمْعًا عند عبد الله بن عمر بن عبد العزيز والي العراق، تبارى فيه هؤلاء الخطباء و هم خالد بن صفوان ، و شبيب بن شيبة ، و الفضل بن عيسى ، و واصل بن عطاء ، و تناوبوا القول على المنبر عى هذا النّظام ، فانتزع خالد و شبيب و الفضل قبلَه –أي واصل – إعجاب القوم انتزاعًا ، فهم كانوا سادة الخطباء في ذلك الزّمان و قد أعدوا خطبهم من قبل و نمّقوها ، و ما إن فرغ الثّلاثة حتى نهض واصل يهدر و بداهته تغلي بخطبه ارتجلها ارتجالاً و اقتضبها اقتضابًا ، و قد أطال فيها إطالةً و حرص كلّ الحرص على أن يتفانى و ينزع الرّاء منها، مع العلم أنه لم يجتهد فيها من قبل، فأظهر الوالي الصّلات فأجزل صلات الثّلاثة قبله ثم ضاعف لواصل الصّلة تقديرا لتمكّنه و عبقريته الخطابية النّادرة .[1]

وقد سجل بشّار بن برد كما ذكرنا – سابقا هذا الحادث تسجيلا صادقًا حيث يقول في كلمه له:

تكلّفوا القولَ و الأَقوامُ قد حَفلُوا و حبّرُوا خُطْبًا ناهِيكَ منْ خُـــطَبِ

---

* عبد الله هو صاحب نهر بن عمرو وكان واليا ليزيد بن الوليد بن عبد الملك على العراق ولّاه إيّاه بعد عزل منصور بن جمهور في سنة 126 هـ، و قد ظل في ولايته على العراق في فترة مملوءة بالفتن و الأحداث ،كانت وفاته سنة 132 هـ .

*خالد بن صفوان : من فصحاء و خطباء العرب ولد بالبصرة و توفي سنة 135 هـ بالبصرة .

*شبيب بن شيبة بن عبد الله التّميمي خطيب البصرة توفي سنة 170 هـ

الفضل بن عيسى : الرقاشي كان من أخطب النّاس و كان متكلّما مجيدا كان يجلس إليه عمرو بن عبيد ، و كان خطيبا.

[1] ينظر المبرّد ، الكامل ، ص128

فَقـــَام مرتجلًا تُغْلَـــى بداهتــه كمُرْجَلِ القِينِ لمــَّا حفَّ باللَّهَـــبِ

وجانَبَ الرّاَء لـْم يَشْعُرْ بـها أحَـدٌ قَبْلَ التّصَفُّحِ و اللإغراقِ في الطّلب[1]

و أمّا تاريخ هذه الخطبة فيمكننا أن نعيّنه أنّهُ كان ما بين جمادى الآخرة من سنه126هـ إلى سنة 129هـ . كما يتّضح من التّحقيق الذي قام به عبد السلام هارون في الحواشي إذْ أنّ المدّة المقدورة التي قضاها عبد الله بن عمر بن عبد العزيز في ولاية العراق.[2]

نص الخطبة:

«الحمد الله القديم بلا غاية، الباقي بلا نهاية، الذي علا في دنوّه، ودنا في عُلوّه، فلا يحويه زمان، ولا يحيط به مكان، ولا يؤوده حفظ ما خَلَق، و لم يخلقه على مثالِ سبق، بل أنشأه ابتداعا، وعدّله اصطناعا، فأحسن كلَّ شيء خلقه وتمم مشيئته، وأوضح حكمته، فدَلَّ على ألوهيَّته، فسبحانه لا معقّب لحكمه، ولا دافع لقضائه تواضع كلُّ شيء لعظمته، وذلَّ كلُّ شيء لسلطانه، ووسِعَ كلَّ شيء فضلهُ، لا يعزُب عنه مثقال حبّةٍ وهو السميع العليم. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا مثيل له إلها تقدست أسماؤه، وعظمت آلاؤه، علا عن صفات كلِّ مخلوق، وتنزّه عن شبه كل مصنوع، فلا تبلغه الأوهام، ولا تحيط به العقول ولا الأفهام، يعصىَ فيحلم، ويُدعَى فيسمع، ويقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ويعلم ما يفعلون. وأشهد شهادةَ حقّ، وقولَ صدق، بإخلاص نية، وصدق طويةّ، أنَّ مُحَمَّد بن عبد الله عبده ونبيه، وخالصتُهُ وصفيّه، ابتعثه إلى خلقه بالبينات والهدى ودين الحق، فبلَّغ مألُكتَهَ، ونصح لأمته، وجاهد في سبيله، لا تأخذه في الله لومةُ لائم، ولا يصدُّه عنه زعم زاعم، ماضياً على سنتّه، موفياً على قصده، حتى أتاه اليقين. فصلى الله على مُحَمَّد وعلى آل مُحَمَّد أفضل وأزكى، وأتم وأنمى، ,أجل وأعلى صلاةٍ صلاّها على صفوة أنبيائه، وخالصة ملائكته، وأضعافَ ذلك إنه حميد مجيد. وأوصيكم عباد الله مع نفسي بتقوى الله والعمل بطاعته،

---

[1] ابن خلّكان ، وفيات الاعيان و أنباء أبناء أهل الزّمان ج6، ص 8

[2] ينظر من نوادر المخطوطات ، مج1، دط، دت ، ص 129

والمجانبة لمعصيته،فأحضكم على ما يدنيكم منه، ويزلفكم لديه، فإنَّ تقوى الله أفضل زاد، وأحسن عاقبة في معاد. ولا تلهيتكم الحياة الدنيا بزينتها وخدعها، وفواتن لذَّانها، وشهوات آمالها، فإنها متاعٌ قليل، ومدة إلى حين، وكلُّ شيء منها يزول. فكم عاينتم م أعاجيبها، وكم نصبت لكم من حبائلها، وأهلكت ممن جنح إليها واعتمد عليها، أذاقتهم حلوا، وحرجت لهم سمّا. أين الملوك الذين بنو المدائن، وشيدوا المصانع، وأوثقوا الأبواب، وكاثفوا الحجاب، وأعدوا الجياد، وملكوا البلاد، واستخدموا التلاد، قبضتهم بمخلبها، وطحنتهم بكلكلها، وعضتهم بأنيابها وعاضتهم من السعة ضيقا، ومن العز ذلًّا، ومن الحياة فناءٍ، فسكنوا اللُّحود، وأكلهم الدود، وأصبحوا لا تعاينُ إلا مساكنهم، ولا تجد إلا معالمهم، ولا تحسُّ منهم من أحد ولا تسمع لهم نبسا. فتزودوا عافاكم الله وإياكم فإن أفضل الزاد التقوى، واتقوا الله يا أولى الألباب لعلكم تفلحون. جعلنا الله وإياكم ممن ينتفع بمواعظه، ويعمل وسعادته، وممن يستمع القول فينبع أحسنه، أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب. إن أحسن قصص المؤمنين، وأبلغ مواعظ المتقنين كتاب الله، الزكية آياته، الواضحة بيناته، فإذا تلي عليكم فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم تهتدون. أعوذ بالله القوى، من الشيطان الغوي، إن الله هو السميع العليم. بسم الله الفتاح المنان. قل هو الله أحد، الله الصمد، لم يلدْ ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد. نفعنا الله وإياكم بالكتاب الحكيم، وبالآيات والوحي المبين، وأعاذنا وإياكم من العذاب الأليم. وأدخلنا وإياكم جنات النعيم.» [1]

الخطبه جارية في موضوعها و اتجاهها على ما عرف في هذه الحقبة من الخطبة الدينية الوعظية ،فيها ذكر الله و التّذكير به، و الدعوة إلى طاعته و الاعتصام بتقواه و التحذير من الدّنيا و زينتها و لذّاتها و آمالها و التّزهيد في قليل متاعها و الاعتبار بأعاجيبها ، و من صرعتهم من أبنائها و ملوكها و الترغيب في الآخرة وخيرها الدائم و نعيمها المقيم.

[1] أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزهرة ، ج2، العصر الأموي ، مطبعة مصطفى الباقي الحلبي و أولاده ، مصر ، 1352هـ /1933م ، ص 482-483-484

و في الخطبة الجمل القصيرة المسجوعة المترادفة ، و فيها الازدواج مع قرب المعاني و سهولة الألفاظ و هي صفات كانت تغلب على أسلوب المواعظ الدّينية و أبرز مظاهرها : التّكرار المعنوي و الترادف الموسيقي الذي يُشعر السّامع بلونٍ من الارتياح لذلك الإيقاع الجميل والتنعيم الصّوتي يزيد السجع وضوحا و تأثيرًا، ولعل هذه السهوله مما يسّر لواصل غايته من اختيار ألفاظ خالية من حرف الرّاء و دال له سبيل الارتجال في هذا المقام.

و بلاغة واصل ا قتداره على الخطابه و الارتجال من حقها ألّا تنْسَبَ لهذا الأسلوب وحده، و ما تجلّى فيه من هذه الظّواهر، فإنّها ترجع في الأكثر إلى ما هو أبعد في الدّلالة عن هذه القدرة و هو خلوّها من حرفٍ بعينه –هو الرّاء – على طولها واتجالها، و من كان قادرا على الإحساس عند البديهة و الارتجال فهو عند الرّوية و التأنّق أوسع قدرةً و أبعد في الإحسان شأنًا ، فقد دعاه التزام هذا الوضع إلى اختيار ألفاظ بذاتها لمعاينة قراءة طبّعةٍ ، وجاءت جميلة طبيعيّةًلا توحي بافتعالٍ أو إكراهٍ أو صنعةٍ.

و لا يكون ذلك إلّا مع قوّةٍ عارضة و أصالة الملكة و حضور البديهة و اتساع الإحاطة باللّغة و مفرداتها و التّبصّرِ بمواقع القول و من سمعها أو قرأرها خالي الذّهن مـمّا التزمه فيها قائلها، لا يشعر بما التزم فيها ، و لا يدرك أنّها نهجت نهجا غير ما نألف ، و قد أفاد واصل من خبرته باللّغة ، و أضاف إلى ذلك حسن استخدامه لمترادفها ، فهو يضع الكلمات موضعها ، و قد تكون في كلامه جملٌ ألفناها في نسقٍ خاص ، فيضع فيها كلمة مكان أخرى فرارًا من الرّاء ؛ و بالرّغم من هذا لا تُحسُّ الأذن في تلك العبارات شيئا غير ما ألفتَهُ ؛ فإذا اتّجه للأخذ و الاقتباس من القرآن الكريم لجأ إلى معنى الآية دون لفظهما في نسقٍ قريب من نسقها .

و الخطبة تستمدّ قيمتها من الظّروف التي أحاطت بها و قد سردتها في تضاعيف ما مضى من الكلام، و لسنا بحاجه إلى أن نعيد القول في أنّ خطبةً طويلةً تقال ارتجالًا و اقتضابًا في مقامٍ رهيبٍ، و يقتدر صاحبها على الاستغناء على حرفٍ هو أكثر الحروف دورانا في الكلام ، و قد حفظ

التّاريخ بعض الخطب التي نزعت منها حروف معيّنه ، كخطبة " أحمد بن الحسن الزّيات المالقي* و لكنّها لم تكن مرتجلة كخطبة واصل التي تتسم بطابع ديني، فهو حين يريد أن يقول:« أعوذ بالله القوي من الشيطان الرجيم ، بسم الله الرحمن الرحيم» يقول : « أعوذ بالله القوي من الشيطان الغوي بسم الله الفتاح المنّان » ، و إذا أراد أن يتلو سورة كاملةً من الكتاب قرأ سورة الإخلاص لخلوّها جميعا من الرّاء . و حين يريد الإقتباس من القرآن:« وسع كرسيّه السّماوات و الأَرْضِ و لا يؤودُهُ حفظهما.» يقول :« لا يحويه زمانٌ ولا يحيط به مكان و لا يؤوده حفظهما حفظ ما خلق» و إذا أراد أن يقول :«لا يعزب عنه مثقالُ ذرّةٍ » ، قال : « مثقال حبّةٍ » ، و إذا أحبّ أن يقتبس من قوله تعالى :« أصبحوا لا ترى إلّا مَسَاكِنَهُم»[1]. قال:« أصبحوا لا تعاينُ إلّا مساكنهم» و الملاحظ كما ذكرنا فيما مضى أنّ واصلا كان يجيز القراءة بالمعنى.

وهذا النوع من القدرة على التّصرف في القول بداهةً ، مصاحبًا لهذا القدر من التوفيق و الإحسان لا يواتي كل خطيب و قائل و إنّما هو وقف على القالة المهرة الأفذاذ، الذين ملكوا نواصي البيان، ودان لهم مستعصي القول و أصابوا من الثّقة بنفسهم ، و التّمكن من لغتهم حدًا لا يخشون معه عجزًا و لا يداخلهم إزاءه شكٌّ .

و قد أشار بشار –كما ذكرنا سابقا– إلى تفضيله عن خالد بن صفوان و شبيب بن شيبة و الفضل الرّقاشي ،كما يعقّبُ الجاحظ بقوله:«... لأنّه كان من بين ارتجاله الخطبة التي نزع منها الرّاء كانت مع ذلك أطول من خطبهم.[2]»

---

[1] أحمد زكي صفوت ، جمهرة خطب العرب في الغصور العربية الزاهية ، ج3، العصر العباسي الأول ، ط1، مطبعة الحلبي و أولاده ، مصر ، 1933 ، ص 226

*أحمد بن الحسن الزيّات : هو أحمد بن علي الزّيات الخطيب المتصوف من أهل بلش ملقة ولد سنة 649هـ و توفي سنة 728هـ ، قال فيه لسان الدين الخطيب : «كان يفتح مجالسه أكثر الأحيان بخطب غريبة ، يطيف فيها مفاصل الأغراض التي يشرع فيها ، و ينظم الشعر دائما في مراجعته و مخاطبته و إجازته من غير تأنٍ و لا رويةٍ حتى اعتاذه ملكه و اشتغل في السفارات بنذين الملوك لإصلاح الأمور ، فكانوا يوجبون حقّه و يلتمسون بركته و دعائه»و له خطبة نزع منها الألف أوّلها : حمدت ربّي جلّ من كريم محمود، و شكرته عزّ من عظيم معبود ...»

[2] الجاحظ ، البيان و التّبيين ، ج1، ص 35-36

والخطبة كذلك تقدّم لنا خطب القرن الثاني الهجري، من الخطب التي تجنّبت السّياسة والدّعوة السّياسية ، و تجنّبت فتن المذاهب و الدّعوة المذهبيّة ، فهي نموذج لخطب الوعظ الخالص ، ابتدأها بحمد الله و الثناء عليه* ثم ثنا بالشهادتين في إسهابٍ طيّبٍ ، و عقّب على ذلك بالصلاة على الرسول الكريم مثنيًا عليه، ثم حثّ على التّقوى و الطّاعة ، و مال بعد ذلك إلى التّحذير من الدّنيا و التّهوين من شأن من أطاعتهم الدّنيا و أغذقت * عليهم ثم صاروا من بعدُ أحاديث، ثم دعا للناس أن يكونوا ممّن ينتفع بالموعظة الحسنة، ثمّ نوّه بفضل القرآن و تلا ما تيسّر منه بعد أن أجرى الأستعادة و البسملة أيضا على أسلوبه الذي يجانب الرّاء.

و شيء آخر يلمع لنا من ثنايا الخطبة، فهذه الخطبة التي هي أشبه ما تكون بخطبةٍ تقال في يوم الجمعة قد قيلت في مناسبةٍ رسميةٍ، و كان من المتوقع أن يَثنيَ القوم على الأمير و يذكروا فضله آلاءه و ينوّهوا بيمن عهده و ازدهار أيّامه ؛ و لكن يبدوا أن الطّابع الدّيني كان غلّابًا –كما قلنا آنفا– في ذلك الزّمان و الرهبه الدّينيه كانت لا تزال في قوتها وسلطانها و الناطر في خطب هذه الفترة يجد شبهًا كثيرا بين هذه الخطبة و خطبه عمر بن عبد العزيز[1] ، و كذا بينها و بين خطبة سليمان بن عبد الملك[2] ، اجتمع فيها كلّها التّحذير من مفاتن الدّنيا و تصوير نهاية الأحياء في ذلٍّ و هوانٍ ،كما اتّفقت في الأسلوب و المبنى على المزاوجة، و ظهور السّجع اليسير .

و الخطبة قيمة فنّية و تاريخية عظيمة فهي خطبة مرتجلة أ أمّا قيمتها التّاريخية فتنبُعُ من كونها نموذجًا من خطب الوعظ الخالص في ذلك القرن ، تجنّب فيها واصل فتن العصر المذهبية – كما قلنا– و هي كذلك قيمه تربوية عظيمة يمكن لمعلّمين و أساتذة اللّغة العربية معالجتها بطلب إلى

---

*كان هذا أمرًا محتّما في كل خطبهم في ذاك العصر، و كانو يعدّون الخطب الخالية من هذا أمرًا شنيعًا ، حتى أنهم سموا خطبة زيّاد التي لم يلتزم فيها ذلك خطبة بتراء .

*أغذق ، يغذق ، إغذاقا فهو مغذق و المفعول مغذق، أغذقت عين الماء : فاضت و كثر ماءها

[1] ابن قتيبة ، عيون الأخبار ، ج2، تح لجنة بدار الكتب المصرية ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ص246

[2] المرجع نفسه ، ص 274

طلّابهم في التّحدث في موضوع حديثٍ يتجنّب فيه المتعلّم البعد عن حروفٍ معيّنة ،ى و هذا لتدريبهم على الإبداع في تجنّب الكلمات و اختيار المرادفات .

و هذه الخطبة – مع خطبة أخرى قصيرة لواصل بن عطاء أيضًا– هي الشيء الوحيد الذي يصلنا بهذا الجانب من أدب المعتزلة و هي إنْ كانت لا تكشف لنا عن خصائص هذا الأدب و لا تعطينا صورة معمّقة عن مقوماته الأساسية التي تميّزه عن غيره ، حيث أنّ هذه الخصائص ، و تلك المقومات إنّما تلتمس في مناضراتهم و فنونهم النّثرية الأخرى، حيث تتّضح في هذه المجالات انطباعات ثقافتهم الخاصة التي تعطينا و تفصح لنا عن شيئين مهمين هما:

1- فهي تعطينا صورة عن بلاغتهم و تمكّنهم من اللّغة و حسّهم الشديد بمواقع الكلمات ، و قدرتهم على التّصرّف في وجوه القول ، و مدى تفوّقهم الذّهني لهذه المهمّة، و هي مهمّة الدّفاع عن الدّين و الدّعوة إليه من خلال مبادئهم و أصولهم التي اعتقدوها .

2- و هي تصور لنا كذلك مبلغ حماسِهم الدّيني و مدى انفعالهم الشّديد بهذا الدّين ، و حرصهم على الدّعوة إليه و الدّفاع عنه ما استطاعوا إلى ذلك ، فجلّ خطبهم جاءت دعوة لهذا الدين و إرساءٌ لمبادئهم.

خاتمـــــــــة

الخاتمة

إن الكلام على ختام الشيء صعب ليس كالكلام على بدايته ذلك أنّه في الأول استعصت علينا الكلمات. كوننا نعرف فيما نريد أن نكتب ، إلا أننا نجهل كيف سنكتب أما صعوبة القول في الختام تكمن في كون هذا الأخير حوصلة لما جاء في البحث و نتيجة لما سبق و هذا ما ستتضمنه خاتمتنا هذه و أشرنا أن تكون هذه النتائج عبارة عن نقاط و أول الإستنتاجات التي توصلنا إليها:

- 1) الخطبة الإعتزالية جارية في موضوعها و اتجاهها على ما عرف في هذه الحقبة من الخطبة الدينية الوعظية فيها ذكر الله و التذكير به و الدعوة و إلى طاعته و الإعتصام بتقواه .
- 2) بعد دراستنا لفن الخطابة عند المعتزلة لا سيما بعد أخذنا خطبة واصل بن عطاء نموذجا، استنتجنا أن الخطبة لا تكشف لنا عن خصائص و مقومات هذا الأدب التي تميزه عن غيره حيث أن هذه الخصائص و تلك المقومات إنما تلتمس في جدلهم و مناظراتهم و فنونهم النثرية الأخرى.
- 3) الخطابة تعطينا صورة رائعة عن بلاغتهم، و تمكنهم من اللغة، و وقدرتهم على التصرف في وجوه القول بداهة، و تعطينا صورة عن مدى تفوقهم الذهني في مهمة الدفاع عن الدين و الدعوة إليه من خلال ممبادئهم و أصولهم التي اعتقدوها.
- 4)كما لاحظنا أيضا قوة أيضا قوة و مبلغ حماسهم الديني و مدى حرصهم على الدعوة و الدفاع عنه فجل خطبهم جاءت دعوة لنصرة هذا الدين و إرضاء له.

و في الختام نرجوا أن يكون هذا البحث بذرة زرعناها، في بستان العلم تتمر تنبت و تنمو فيأكل ثمارها كل من تمعن في أفكار هذه المذكرة المتواضعة و أن تلقى محاولتنا هذه شيئاً من الضوء على جانب من جوانب هذه الفرقة بصفة خاصة و التاريخ الإسلامي بصفة عامة.

و نقول ما قاله العماد الأصفهاني:" أني رأيت أنه لا يكتب انسانا كتابا في يومه إلا و قال في غده لو غير هذا لكان أحسن و لو زيد لكان يستحسن، و لو قدم لكان أفضل ، و لو ترك لكان أجمل، و هذا من أعظم العبر و هو إستلاء النقص على جملة بني البشر".

العماد الأصفهاني _

المصادر و المراجع

المصادر و المراجع

- القرآن الكريم .

1-أبو هلال العسكري ، الأوائل تحقيق مُحَمَّد السيد الوكيل ، دار النشر البشير للثقافة والعلوم الإسلامي ، مصر 1987، ط2 .

2-ابن لجوزي صفة الصفو ، تحقق الشيخ خالد طرطوسي ، دار الكتاب العربي ،دط، 2012

3-أبو الفرج الاصفهاني ، ، مقاتل الطالبيّين ، تح ، أحمد صقر ، دط، مؤسسة الأعملي ، للمطبوعات ، بيروت، دت .

4-أبو الفرج الإصفهاني ، الاغاني ج3، تحقيق إحسان عبّاس ، و ابراهيم السّعافين و بكري عبّاس ،دار صادر ، بيروت ، دط ، دت

5-أحمد طاهر درويش ، الخطابة في صدر الإسلام ، عصر الدّولة الأموية ، ج2 ، دار المعارف ، بيروت ، دط ، دت .

6-ابن خلدون ،المقدمة، ج3، تح علي عبد الواحد ، طبعة مزيدة و منقّحة ، عد دار النهضة للنشر ، مصر ، ط7، مارس 2014.

7-ابن قتيبة ، عيون الأخبار ، ج2، تح لجنة بدار الكتب المصرية ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة.

8- ابن لجوزي صفة الصفو ، تحقق الشيخ خالد طرطوسي ، دار الكتاب العربي ،دط، 2012

9-ابن عبد ربّه بن مُحَمَّد الأندلسي ، العقد الفريد ج4 ، تحقيق أحمد أمين ، مطبعة لجنة التأليف و الترجمة و النّشر ، القاهرة ، 1962، ط2 .

10- ابن حنبل ، المسند ج 2 .

11- ابن المرتضى ، المنية و الأمل ، دط ، 1902.

12- ابن المرتضي ، الأمالي ،مج 1، تحقيق مُحَمَّد أبو الفضل ابراهيم ، الناشر عيسلا لبابي الحلبي ، دط، 1954 .

13- ابن العباس شمس الدين بن خلكان ، وفيات الأعيان و أنباء أبناء أهل الزمان ،ج6، تحقيق احسان عبّاس ، دار صادر بيروت ، دط، دت

14- ابن الحسين المعتزلي ، الانتصار و الرد على ابن الروندي الملحد .

15- أحمد الحوفي ، فن الخطابة ، مكتبة نهضة مصر ، القاهرة ،1949 ، ط2.

16- أحمد أمين ، فجر الاسلام ، ج2 ، مكتبة النهضة المصرية القاهرة ، ط11 ، دت

17- أحمد أمين ، فجر الإسلام ، ج1 ، دار الكتاب العربي ، بيروت لبنان ، ط10 ، دت .

18- أحمد حسن الزيات ، تاريخ الادب العربي ، دار النهضة ، القاهرة ، مصر ، دط.

19- أحمد زكي صفوت ، جمهرة خطب العرب في الغصور العربية الزاهية ، ج3، العصر العباسي الأول ، ط1، مطبعة الحلبي و أولاده ، مصر ، 1933

20- إيليا حاوي، الفنون الأدبية عند العرب،دار النشر للثقافة و التوزيع، بيروت ، دط، 1997.

21- إيليا الحاوي، فن الخطابة و تطوره عند العرب ، دار الشرق الجديد، بيروت ،ط1 ، 1960 .

22- إسحاق عزوز الفرق الإسلامية ، دار ابن حزم للطباعة و النّشر والتوزيع ، بيروت ، ط1 ، 1995

23- ألبير نصر كامل ، فلسفة المعتزلة فلاسفة الإسلام الأسبقين ،التوحيد (الله العالم) ج1، دار النشر للثقافة ،الأسكندرية مصر دط ،1951/1950

24- ألبير نصر نادر ، اهم الفرق الإسلامية الكلامية ، المطبعة الكاثوليكية ، ط2 ، 1966 .

25- الجاحظ ، الحيوان ، ج2، تح عبد السلام مُحَّد هارون ، ط2، مطبعة مصطفى البابي الحلبي و اولاده ، مصر ، ط2، 1996

26- الجاحظ البيان و التبيين، ج1 ، تح عبد السلام هارون ، دار لجيل ، بيروت دط ، دت .

27- جبور عبد النور، المعجم الأدبي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط1 ، 1979، مادة (خ ط ب)

28- جمال الدين أبو الفضل ، لسان العرب ، دار صادر للطباعة و النشر، بيروت، 1968مادة (خ ط ب)

29- الحافظ بن أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، ليسان الميزان ، ج4 ، دار النشر مؤسسة الأعلمي للمطبوعات النظامية ، الهند ، دط ، 1329هـ- 1331هـ

30- الخيّاط ، الانتصار و الرّ د على ابن الروّندي الملحد ، تح نيبرغ ، أوراق شرقية للطباعة و النّشر ، بيروت ، لبنان ،ط2 ،

31- الذهبي ، سير أعلام النبلاء ،ج1 رتّبه وزاده و اعتنى به حسان عبد المنان ، بين الأفكار الدولية ، لبنان ،

32- الراغب الإصبهاني ، محاضرات الأدباء و محورات الشعراء و البلغاء ، هّبه و أخرجه ابراهيم زيدان ، مطبعة الهلال بمصر ،دط، 1902

33- الزمخشري ، الكشاف ، ج 1 ، تح الشيخ عادل أحمد عبد الموجود و الشيخ علي مُحَّد معوّض ، مكتبة العبيكان ، ط1 ، 1418 هـ /1998م .

34- زهدي جار الله ، المعتزلة ، الأهلية للنشر و التوزيع ،بيروت ط 1 .

35- سيد قطب ، النّقد الأدبي، فنونه و مناهجه ، ط6 ، دار الشروق ، القاهرة ، مصر ، دت.

36- الشريف المرتضى ، طبقات المعتزلة ، تح سوس ديقلد قليزر ، بيروت لبنان ، دط ، 1380هـ /1960م .

37- شوقي ضيف ، البلاغة تطور و تاريخ ، دار المعارف ، القاهرة ، ط9 ، 1995.

38- شوقي ضيف ، تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الأول ج3 .

39- شوقي ضيف ، تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الأول ، ج1 ، دار بالمعارف مصر، دت ، ط10.

40- شوقي ضيف ، الفن و مذاهبه ، في النثر العربي ، دار المعارف ، مصر ، ط19 ، دت .

41- الشيخ ابن زهرة ، الخطابة ، أصولها تاريخها في أزهى عصورها عند العرب، دار الفكر العربي، 1980 ، ط2

42- الشهرستاني ، الملل و انحل ، ج1، تح عبد العزيم مُحَّد الوكيل ، مؤسسة الحلبي و شركاه للنشر و التوزيع ، القاهرة ، د ت

43- صبري خدمتلي ، العقيدة و الفرق الإسلامية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دت .

44- عبد الجليل عبده شلبي ، الخطابة و اعداد الخطيب ، دار لشروق ، ط1 ، 1981

45- عبد الحكيم بليغ ، أدب المعتزلة إلى نهاية القرن الرابع الهجري ،دا النهضة ، مصر للطبع و النشر ،1969، ط2.

46- عبد الجليل عيد شلبي ، الخطابة و اعداد الحطيب،دار الشروق ، القاهرة ، 1981، ط1

47- عبد الجبار بن أحمد ، المغني في أبوب التوحيد و العدل ،ج6 ، تح الدكتور ابراهيم بإشراف الدكتور طه حسين ، دط ، دت .

48- عبد الجبار بن أحمد، شرح الأصول الخمسة، ص301

49- عبد الجبار بن أحمد ، المنية و الأمل ، ج1 ، تح الدكتور سامي النّشار و الدكتور عصام الدين مُحَّد ، دار المطبوعات الجامعية الإسكندرية ، دط ، 1972

50- عبد الرحمان بن الجوزي مناقب الأمام أحمد بن حنبل ، تح عبد المحسن التّركي ، دار هدر ، بيروت ، دط، 1988 .

51- عز الدين اسماعيل ، الأدب العباسي الرؤية و الفن ، دار النهضة العربية للطباعة و النشر ، بيروت دط ، 1975

52- عثمان بوغانمي ، الخطبة كنز فنّي ، طبع في الشركة التونسية لفنون الرسم ، 1978 ، دط

53- عمر الدّقاق ، مصادر التراث العربي في اللغة و المعاجم و الأدب و التراجم ، جامعة حلب كلية الأدب ، ط1 ، 1977

54- علي بوملحم ، المناحي الفلسفية عند الجاحظ ، دار الطليعة ، بيروت ، ط2 ، 1988 .

55- علي الشّابي ، المعتزلة بين الفكر و العمل ، الشركة التونسيية للتوزيع ، ط2 ، 1986

56- فيّاض نقولا يوسف، الخطابة ، مؤسسة هنداوي للتعليم و الثقافة ، دط، 2015

57- الفيروز أبادي ، القاموس المحيط، دار الجيل ، د ت، مادة خطب.

58- فالح الربيعي ، تاريخ المعتزلة ، فكرهم و عقائدهم ، الّدّار الثقافية للنّشر ، بيروت ،دط، دت.

59- المبرّد ، الكامل ، أخبار الخوارج في اللغة و الادب و النّحو و التصريف ، دار الفكر ، دط ، دت .

60- مُحَمَّد مرضى الحسين الرشيدي ، تاج العروس من جواهر القاموس ، مادة خطب

61- مُحَمَّد مصطفى منصور ، صور من النّثر الفني في عصر صدر الإسلام و بني أمية ، دار غريب للطباعة و النشر ، 2001.

62- مُحَمَّد أبو زهرة ، الخطابة وأصولها في أزهى عصورها عند العرب، دار الفكر العربي ، القاهرة ، د ت .

63- محمود شاكر ، التاريخ الإسلامي ،ج4، المكتب الإسلامي ، بيروت ط6، 1991،

64- من نوادر المخطوطات ، مج1، دط، دت .

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

مقدمة.....ص أ
مدخل .....ص 1
أولا : تعريف الخطابة لغة و اصطلاحا .....ص 02
أ- تمهيد ص02
ب- اصطلاحا .....ص 03
ثانيا : الخطابة عند العرب .....ص 05
أ- في العصر الجاهلي .....ص 05
ب- في عصر صدر الإسلام .....ص 7
ج- العصر الأموي.....ص 10
ثالثا : أنواع الخطبة في العصر الأموي .....ص 14
1-الخطابة السياسية و الحربية.....ص 14
2-الخطابة الدينية .....ص 15
الفصل الأول : المعتزلة .....ص 17
أولا : الاسباب التي دعت إلى ظهور الفرق الدينية .....ص 18
ثانيا : المعتزلة.....ص 21
1-نشأتها :.....ص21
2-رواد المعتزلة و مدرستهم :.....ص 23
أ- الواصلية .....ص 23
ب- الهذيلية: .....ص 23
ج- النظامية .....ص 24
د- الخابطية و الحدثية..... .....ص 24
هـ- البِشْريّة.....ص 24
و- المعمّرية:.....ص 24
ز- الشّمامية .....ص 24

ح- الهاشمية.....ص 24
ط- الجاحظية .....ص 24
ي- الخياطية و الكعبية.....ص 25
ك-الجبائية و البهشمية .....ص 25
3-مبتدئ المعتزلة .....ص 25
الأصل الأول: التّوحيد : .....ص 25
الأصل الثاني: العدل :.....ص27
الأصل الثالث: الوعد و الوعيد ص29
الأصل الرابع: المنزلة بين المنزلتين ص30
الأصل الخامس : الأمر بالمعروف و النّهي عن المنكر .....ص 32
ثالثا: أثر المعتزلة في الفكر الإسلامي و جهودها في نشر العقيدة الإسلامية,.....ص34
الفصل الثاني : صفات الخطابة الإعتزالية ص37
أولا الخطابة الوسيلة لبلوغ الغاية.....ص38
أ- تمهيد ص38
ب- مدى أهمية هذا الفن بالنسبة لهذه الفرقة ص39
ثانيا : إسهامات المعتزلة في النثر الأدبي 46
ثالثا : واصل بن عطاء.....ص52
أ- هو و الجاحظ.....ص56
ب- عبقرية واصل.....ص57
ج- وفاته.....ص57
رابعا: خطبة واصل بن عطاء.....ص58
نص الخطبة : .....ص 59
خاتمة.....ص 65
المصادرو المراجع ص68
فهرس الموضوعات ص64

الملخص:

لا يمكن لأحدٍ أن ينكر تأثير المعتزلة و دورهم الإيجابي الفاعل فب تحرير الفكر و الأدب العربيين الإسلاميين ، و لعلّ الخدمة الكبرى التي أسداتها هذه الفرقة للأدب و خصوصا في جانبه النّثري هي إضفاء العمق و التّشعّب عليه / من خلال ذلك المزج الرّائع الذي قاموا به بين الأسلوب الكلامي و العقلي و الفلسفي في تناول و طرح القضايا و الموضوعات المختلفة ، و بين النّثر تلدبي بطابعه الفنّي كما هو ظاهر هذا الإتجاه بوضوح من خلال فن الخطابة ،و قد شمل التّجديد طريقة صباغة و بناء هذا الفن ،و كذا التحام اللّغة الحجاجية العقلية

الكلمات المفتاحية :تأثير المعتزلة – اللغة الحجاجية العقلية – فن الخطابة

Abstact :

No one can deny the influence of Mu'tazilism and its active role in liberating Islamic Arab thought and literature. The great service that this group has dedicated to literature, especially in its prose, is to deepen it through a wonderful combination of And the various subjects and literary prose in its artistic nature, as clearly shown by this trend through the art of public speaking, understood the method of renewing the formulation and construction of the language of this art as well as the introduction of the language of mental controversy

Keywords : the influence of Mu'tazilism - the language of mental controversy - the art of public speaking

Resume

Personne ne peut nier l'influence du mu'tazilisme et de son rôle actif dans la libération de la pensée et de la littérature arabes islamiques. Le grand service que ce groupe a dédié à la littérature, en particulier dans sa prose, consiste à l'approfondir à la faveur d'une merveilleuse combinaison de Et les divers sujets et la prose littéraire dans sa nature artistique, comme le montre clairement cette tendance à travers l'art de parler en public, comprenaient la méthode de renouvellement de formulation et de construction du langage de cet art ainsi que l'introduction du langage du controverse mentale.

Mot clés : l'influence du mu'tazilisme – la langage du controverse mentale - l'art de parler en public.